

## المرأة ، موضوعا للتعلم والتعليم صورة من صور العدل التربوي\*

### مقدمة

" الصراع " و " التنافس " ، سنتان من سنن الله في خلقه من العسير على أحد أن ينكرها وهو يرصد مسيرة الأمم في مختلف البقاع ، وعبر العصور ، وهل يمكن لأحد أن ينسى ما رواه الله عز وجل في كتابه الكريم مصورا أول صورة من صور الصراع والتنافس شهدها الإنسان بين ابني آدم في سورة المائدة :

(وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَسَنَ بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدِيَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)).

والأمم في مسيرتها هذه تنزع إلى التفوق حتى تفوز في حلبة للتنافس والصراع والتدافع . وإذا كان للتفوق أسلحته المتعددة ، فرأس هذه الأسلحة هو امتلاك " القوة " ، والتاريخ حافل بصور يصعب حصرها دالة على ذلك من تصارع بين الفرس والروم ، وبين النازية والفاشستية وبين دول العالم ، وما قامت به دول البغى والاستعمار ضد الدول للصغيرة الضعيفة .

---

\* شاركت الدكتورة هدى حسن في بعض أجزاء هذه الدراسة ، وقد نشرت

بمجلة التربية والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٦

وإذا كانت القوة يمكن ترجمتها في بعض المظاهر مثل قوة العضلات ، وفي الأسلحة الفتاكة ، وفي كثرة المال ، إلا أنك إذا تأملت في كل منها وفي غيرها سوف تجد أنها جميعا تقوم على مدى امتلاك المعرفة التي هي أساس كل مظهر من مظاهر الحياة منذ قرون عدة كما تنبؤنا بذلك وقائع التطور البشرى ، حتى في العصور القديمة ، حيث يقرر تقدم المعرفة بالمستوى الحضارى العام القائم فى هذه الفترة وتلك ، ولا يقاس بطبيعة الحال بما نحن عليه الآن .

لكن هذه المعرفة إذا نمت وتطورت فى مجتمع ، فى ظل احتكار طبقة دون غيرها ، أو تمييز لفئة دون غيرها ، أفسحت المجال لأساليب " قهر " و " ظلم " من شأنه أن يبدد الجهد الوطنى ، ويزرع الكثير من الغل والتحاسد والبغضاء ، فإذا بالمعرفة تفقد ميزة أن تكون طريق القوة القائمة على العدل ، وتصبح طريق قوة تقوم على الاستغلال والتمييز .

من هنا أصبح من المهم أن يترافق مع " المعرفة " ، مبدأ " العدل " ، وفقا لكل مجال من مجالات الحياة المجتمعية ، وترجمته فى مجال التعليم أن يكون هناك تكافؤ فى فرص التعلم والتعليم لكل من الذكور والإناث ، لا داخل النظام التربوى فحسب ، بل وكذلك فى جملة السياقات المجتمعية بكل مجالاتها التي هي الحاضن الرئيسى لتوجه التعليم ، إن خيرا فخيراً وإن شرا فشراً .

وجماع فرص التكافؤ بين النوعين فى داخل النظام التربوى ، وما يرافقه ويواكبه من سياقات مجتمعية هو ما نقصده بالعدل التربوى ، لأن " ديموقراطية التعليم " و " تكافؤ الفرص " ينصرفان أكثر إلى ما يتم داخل النظام التربوى وحده ، بينما " العدل التربوى " ، يضيف إلى ذلك مجموعة

من الشروط المجتمعية المتكاملة التي يمكن أن تبدد - أو تعزز - الديمقراطية وتفرغ - أو تقوى - مبدأ التكافؤ من مضمونه .  
ومن هنا فليست المسألة مسألة "توسع" في تعليم المرأة ، لأن هذا يمكن أن يوحى بغلبة النظرة العددية للكمية ، وإنما هي - بالإضافة إلى ذلك - نوع هذا التعليم ، وإلى مدى تحقيقه للأهداف المرجوة منه ، وإلى أنه لا يؤدي إلى خطأ محتمل مقابل ، بأن يكون هذا التوسع على حساب تعليم الذكور . إنه " العدل التربوي " بين جميع أبناء الوطن الواحد ، هو المنشود في عملية النهوض الحضاري ، وهو المقصد .

### لماذا هذا الموضوع ؟

في الآية الأولى من سورة النساء نقرأ قول للمولى عز وجل :  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ) .

وفي سورة الروم ، آية ٢١ نقرأ قوله سبحانه :  
( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) .

وفي سورة الأعراف ، الآية ١٨٩ ، يقول عز من قال :  
( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا )

...

في كل هذه الآيات - وهناك غيرها - نجد أصل العلاقة بين المرأة والرجل كما يذكرنا الله عز وجل ، فهي والرجل من نفس واحدة ، مما يؤكد على عدم أفضلية طرف على آخر ، وأن ما يحدث بعد ذلك من تمايز وتفرقة إنما هو أمر " كسبي " ، أي من خلال عمليات تنشئة ثقافية تاريخية طويلة ، بكل ما تحمله الخبرة التاريخية الثقافية من سلبيات وإيجابيات ،

وفقا لمرحلة التطور الحضارى ، حيث تغلب السلبيات فى مراحل التخلف ، وتكثر الإيجابيات فى مرحلة النهوض والبعث الحضارى ، كما تنبؤنا بذلك فلسفة التاريخ واستقراء التطور الحضارى لمختلف الأمم والشعوب ، شرقا وغربا .

ونجد أيضا من الفطرة معنى " السكن " ، نسبة إلى " السكينة " ، والسكينة تتضمن أن الطرف الموصوف بأنه سكن ، تتوافر فيه المودة والاطمئنان وراحة البال والهدوء والثقة ، ففى المعجم الوسيط نجد : " سكن إليه : استأنس به واستراح إليه " ، ومن ثم فإن ما قد يظهر خلاف ذلك إنما هو أيضا أمر " كسبى " ، أى نتاج العملية نفسها التى ينشئها الإنسان بنفسه ويكونها عبر العصور المختلفة .

لكن ظروفًا وامتغيرات تاريخية وثقافية عديدة لا محل للإشارة إليها هنا خلقت فجوة بين " الفطرة " ، أى " الطبيعة الخاصة كما خلقها الله عز وجل " ، وبين " المأل " الذى آل إليه أمر العلاقة بين الرجل والمرأة نتيجة للتشئة ، بحيث تتجه فى غالب الأحوال فى اتجاه سيادة الأول وتبعية الثانى .

فلما بدأ انتشار الوعى والتعليم يؤتى أكله ، ويثمر وينتج ، بدأ عدد من المفكرين ينبه على أصل " الفطرة " ، وأن " التشئة " قد باعدت بين المرأة وبين ما كان يجب أن تكون عليه ، فإذا بكتابات متعددة تسعى أن تثير وتكشف وتحلل وتدرس السبل الكفيلة بالنهوض بالمرأة فى الوطن العربى على وجه العموم ، وفى مصر ، كان كتاب رفاعة الطهطاوى الشهير ( المرشد الأمين للبنات والبنين ) ، وقبله أشار على مبارك بطرق غير مباشرة فى روايته ( علم الدين ) ، حيث جعل الحديث عنها من خلال الإشادة ببعض صور التقدم لدى الطرف الإفرنجى ، ومنها بطبيعة الحال ما أحرزته المرأة من مكاسب .

ثم كان الكتاب " القنبلة " الذى أخرجه قاسم أمين بعنوان ( تحرير المرأة ) ، والذى أتبعه بآخر بعنوان ( المرأة الجديدة ) ، ونقول للكتاب " القنبلة " ، لأنه بالفعل فجر جدلا طويلا فى مختلف الأوساط لم يقتصر على وقت ظهوره ، بل امتد بعد ذلك سنوات طويلة ، ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا الجدل ما زال مستمرا حتى الآن !

منذ ذلك الوقت ، وأنهر الصحف والمجلات ، ثم موجات الأثير وشاشات التلفاز ، فضلا عن البحوث والكتب ، والمؤتمرات والندوات لا تكاد تنفض ، تدور جميعها ، على وجه التقريب ، حول المرأة تحريرا ومساواة وتكافؤا وحقوقا . بل إن السنوات الأخيرة شهدت على مستوى العالم مؤتمرات دولية محورها جميعا القضايا الخاصة بالمرأة ، وعلى المستوى الوطنى نجد ظهور ما يسمى " بالمجلس القومى للمرأة " !

### قضية الدراسة :

والملاحظ من استقراء كل ما قيل وما كتب أن معظمه يركز على قضية " التعليم " بصفة خاصة ، فهى بالنسبة للمرأة تعد القضية الأم . . . القضية المركزية ، باعتبار أن للتعليم هو مفتاح الولوج إلى الكثير من الخطوات ، لو توقفنا عندها لطل بنا الحديث :

فعمل المرأة يحتاج إلى تعليم ،

ومشاركتها السياسية تحتاج إلى تعليم ،

وتطوعها فى الأعمال الخيرية ، يحتاج إلى تعليم ،

ووعياها بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، يحتاج إلى تعليم ،

.. . وهكذا فى كل شأن ورجا .

ومن الملاحظ أيضا أن كثيرين اتجهوا إلى أن تحظى المرأة بالتعليم نفسه الذى يحصل عليه الرجل ، كصورة من صور التكافؤ والمساواة ،

حتى لقد رأينا حرصا على إلغاء بعض صور التعليم الذي كانت المرأة تختص به ، بحكم ما تصوره القوم من " طبيعة " خاصة بالمرأة ، وكأن ذلك كان صورة من صور التمييز غير المرغوب فيه .

لكننا هنا نريد أن نلفت النظر إلى جانب مهم يتعلق بالعلاقة بين " التمايز " وبين " المساواة " و " العدل " و " التكافؤ " .

ففي التعليم الثانوى على سبيل المثال ، عندما نفرع قنواته ليكون هناك تعليم زراعى ، وصناعى ، وتجارى ، وعام ، ويتم توزيع الطلاب على هذه القنوات ، هل نمارس لا ديموقراطية وعدم مساواة بين الطلاب والطالبات لأننا " مايزنا " بين تعليم وتعليم ، وبين مريدى تعليم ومريدى تعليم آخر ؟

وفى التعليم الجامعى ، عندما تكون هناك سبل متعددة تتنوع بين تعليم طبى وآخر هندسى ، وثالث زراعى ، ورابع تجارى ٠٠ إلخ ، يتوزع بينها الطلاب ، ويكون هناك تمايز شديد فى مواد التعليم ، هل يعد هذا خروجا عن العدل والديموقراطية والتكافؤ والمساواة ؟  
الإجابة ٠٠٠ هى بالنفى !

فسنة الله فى خلقه ، أن يكون هناك " اختلاف " وتباين " بينهم بحيث يُنظر إلى الاختلاف باعتباره " نعمة " لا نقمة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ، سورة الحجرات .

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٢٢) سورة الروم .

(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) سورة يونس .

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)) سورة يونس .

٠٠٠ وغير هذه الآيات الكريمة ، آيات أخرى كثيرة ، تؤكد على سنة الاختلاف ، كصورة من صور القدرة الإلهية ، وباعتباره "منة" من الخالق على خلقه ، وهذا يؤكد أن الاختلاف ليس شرا في كل الأحوال ، بل هو ضرورة .

وإذا كان الاختلاف سنة كونية مؤكدة ، إلا أن هذا الاختلاف لا يعنى "الصراع" ، كما ذهب إلى ذلك بعض المفكرين وبعض المذاهب ، وخاصة الماركسية (إلياس فرح ، ص ٤٤) ، وإنما مفروض أن يؤدي إلى "التعارف" ٠٠التفاهم المتبادل ٠٠التعايش ٠٠٠ الحوار ، وهو ما أفاض فيه ابن خلدون كثيرا فى مقدمته (ص ٣٤٠) ، من حيث أن هذا الاختلاف والتباين هو السبيل الذى يرغب الناس على "تبادل المنافع" ، سواء فى السلع المادية أو السلع الفكرية ، فىكون لديك ما ليس لدى ، ويكون لدى ما ليس لديك ، ويكون هذا مدعاة للتعاون والتفاعل ، وإن كان هذا ، فى غيبة منظومة أخلاقية سوية ، أحيانا ما دفع البعض ، على المستوى الفردى ، وعلى مستوى الدول ، إلى الوقوع فى برائش الصراع والتقاتل .

نقول هذا ونؤكد عليه ، لأن كثيرين مع الأسف الشديد ، فى غمرة حماسهم لأن تتال المرأة ما حرمت منه من حقوق ، اندفعوا لإلغاء التمايز والاختلاف ، فى ظل وهم بأن التمايز يعنى الظلم والقهر بالضرورة .

لكننا هنا إذ نقول بوجود تمايز ، نقول أنه كما التمايز فى القدرات والاستعدادات بين كل الناس ، بما فىهم الرجال بطبيعة الحال ، ومن ثم فلا بأس من وجود ما تختص به المرأة من مواد التطعيم ، فبالى أى حد وعلى أى نحو يمكن أن يكون ذلك ؟

## مقصد الدراسة :

بطبيعة الحال ، هناك من سوف يهب معارضا لأن تتمحور قضية الدراسة حول نوعية من التعليم تكون خاصة بالمرأة ، ونذكر هؤلاء بما تخصصه الإذاعات من برامج خاصة بالمرأة ، وكذلك الصحف والمجلات ، فنجد مجلات خاصة بالمرأة ، دون أن يحفل أحد بأن يكون للرجل كذلك مجلة تختص به .

بل وشهدنا منذ عدة سنوات بمجلس " قومي " للمرأة ، كما سبق وأن أشرنا من قبل . . .

وهناك أمر أخير في هذه القضية بالذات ، وهي أن الجهود المبذولة على طريق النهوض بالمرأة ، إنما هي " معركة " ثقافية وتربوية واجتماعية وسياسية ، واقتحام مثل هذه المعارك ، إذا كان يقتضى حسن وعمق ودقة الدراية بأحوال " الآخر " ، سواء تمثل في " أشخاص " أو في " مشكلات " أو في " ظروف وأحوال " أو في " صعاب وعقبات " ، فإنه يتطلب كذلك دراية عميقة وفهما أوسع ، ووعيا أبصر بالذات ، ونذكر هنا صيحة سقراط الشهيرة : اعرف نفسك . . .

كما نذكر بنصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول !

وما معنى هذا ؟

معناه ضرورة أن يكون هناك حرص على أن تتوافر لدى المرأة دراية متعمقة بذاتها . . .

وأن يتوافر لدى المرأة وعى بتكوينها . . . بأحوالها . . . بمشكلاتها . . . بوظائفها . . . بمتطلباتها . . . باحتياجاتها . . .  
دراية تعينها على حسن المواجهة ورشد التصرف . . .

ووعيا يساعدها على امتلاك ما هي بحاجة إليه من مهارات وقدرات لازمة لبناء شخصية ذات كفاءة على المستوى الشخصى وعلى المستوى الاجتماعى .

وهذا ما نحاول من خلال للدراسة الحالية أن نتناوله . .

### دراسات سابقة :

الحق نقول ، أن من العسير على باحث أن يستقصى كافة للبحوث والدراسات التى أجريت عن قضية تعليم المرأة عامة وما يتصل بشأنها النسوى خاصة ، وخاصة فى السنوات الأخيرة التى شهدت زخما لم يسبق مثله مناقشة وبحثا ودراسة وحديثا عن كل ما يتصل بالمرأة ، ومن ثم فإن الدراسات التى سوف نشير إليها فيما يلى إنما هي أمثلة ونماذج ، ربما تكون هي الأقرب لقضية الدراسة الحالية .

- دراسة زينب محمد فريد : تطور تعليم البنات فى مصر فى العصر الحديث ، وهى رسالة ماجستير تمت فى كلية البنات بجامعة عين شمس سنة ١٩٦١ ، واقتصرت على الفترة الواقعة من حكم محمد على حتى بداية الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ، ومن الواضح أنها وإن تناولت جزءا من الدراسة الحالية ، إلا أن هذا الجزء احتل بضع فقرات تمهيدية لم تدخل فى قلب للقضية تماما .

- دراسة زينب محمد فريد : وهى للخطوة التالية التى حصلت بها الباحثة على درجة الدكتوراه ، من كلية البنات بجامعة عين شمس عام ١٩٦٦ ، وكان موضوعها ( تطور تعليم البنات فى مصر من الاحتلال البريطانى ١٩٩٢ حتى عام ١٩٥٢ ) ، وما قلناه عن الدراسة الأولى هو نفسه يمكن قوله بالنسبة للدراسة الثانية .

- دراسة مصطفى سويف ( إشراف ) : تغير الوضع الاجتماعي للمرأة في مصر المعاصرة ، وهو بحث قام به فريق تابع للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عام ١٩٧٤ ، وربما كانت الدراسة الأقرب للدراسة الحالية هي الدراسة الأولى التي قام بها " عبد الحليم محمود السيد " ، ضمن هذا للفريق ، وكانت عن ( تطور تعليم البنات في مصر والمشكلات المصاحبة له ) ، حيث أفادتنا بقدر من المعلومات التاريخية ، وإن كانت بحكم وظيفتها لم تتعمق الكثير مما لحق بتعليم المرأة من تطورات .

- دراسة زينب حسن حسن : دراسة وتقويم للجهود المبذولة لمحو أمية المرأة في كل من المجتمعين المصري والسعودي ، وهي رسالة حصلت بها الباحثة على درجة الدكتوراه من كلية البنات بجامعة عين شمس عام ١٩٧٩ ، وهي أيضا لا تقرب إلا قليلا من الدراسة الحالية ، وإن أفادت فيما تضمنته من تأكيد على العلاقة الوثيقة بين تعليم المرأة والتنمية المجتمعية .

- دراسة عبد المنعم حسين شوقي ( إشراف ) : احتياجات المرأة في صعيد مصر ، دراسة تطبيقية ، وتمت الدراسة في كلية الآداب بجامعة المنيا ، بدون تاريخ ، لكن خطابا مرفقا بالنسخة التي توافرت لدينا يفيد أنها تمت في عام ١٩٨١ ، وكانت العينة من النساء الأميات في الغالب ، ومن أبرز هذه الاحتياجات المشار إليها حاجتهن إلى التعليم .

- دراسة سامية مصطفى الخشاب : المرأة والعمل المنزلي ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، عام ١٩٨٣ ، حيث أشارت الباحثة إلى أن قضية العمل المنزلي للمرأة قد أهملت طويلا من جانب علماء الاجتماع في العصر الحديث حيث تركز جهودهم في

خروج المرأة للعمل ، وهى القضية التى تتصل اتصالا وثيقا بالدراسة الحالية ، وهو ما سوف نشير إليه بشئ من التفصيل فى جزء تال .

- دراسة سعيد عبد الحميد محمود السعنى : دراسة تقويمية لتعليم المرأة فى القطاع الريفى فى ضوء احتياجات للتنمية ، وهى رسالة دكتوراه تمت أيضا فى كلية البنات بجامعة عين شمس ، عام ١٩٨٦ ، حيث اقتصرت كما هو واضح على للقطاع الريفى ، متالوة التعليم بصفة عامة .

- دراسة فاطمة على السعيد جمعة : قضايا تربية البنات وتعليمها عند رائدات الحركة النسائية فى مصر من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٥٢ ، وهى رسالة ماجستير تمت فى كلية التربية بجامعة عين شمس عام ١٩٨٨ ، وقد أفادت منها الدراسة للحالية فى الجزء الخاص بالخبرة التاريخية المصرية .

- دراسة فتحية عبد الجواد أحمد : مستوى التعليم وتنمية وعى المرأة بأدوارها فى المجتمع ، وقد تمت فى كلية التربية بجامعة عين شمس ، ونالت بها الباحثة درجة للدكتوراه عام ١٩٩٢ ، حيث أكدت على الارتباط الإيجابى للواضح بين مستوى التعليم ووعى للمرأة بأدولرها فى المجتمع .

- دراسة نادية عبد الجواد الجروانى : العائد الاجتماعى لبرامج محو أمية للمرأة العاملة ، دراسة مطبقة على إدارة الجيزة لمحو الأمية وتعليم الكبار ، رسالة دكتوراه من كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان عام ١٩٩٩ ، وهى مقتصرة بذلك على أمرين ، أولهما " المرأة العاملة " ، والثانى " محو الأمية " ، مما يغيرها عن للدراسة الحالية على حد ما .

- دراسة نعمات عبد الناصر أحمد صالح : أثر التركيب الطبقي على التعليم العالى للمرأة فى جامعة أسيوط ، دراسة ميدانية ، كلية التربية بجامعة أسيوط ، عام ٢٠٠٠ ، وبذلك استهدفت التعرف على مدى تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية للإناث فى التعليم العالى بدلالة الواقع التعليمى والتركيب الطبقي لهن .

- دراسة فاطمة مصطفى عبد الجواد : العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية ، دراسة ميدانية ، تمت بكلية البنات بجامعة عين شمس ، ٢٠٠٦ ، حيث سعت إلى الكشف عن واقع العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية بانقضاء العقدين الأخيرين من القرن العشرين .

### التعليم .. حقا :

لا نريد استفاضة فى بيان ما يمثله التعليم من " ضرورة " و " حق " لا للمرأة وحدها وإنما بالنسبة لكل إنسان ، صغر أو كبر ، فذلك حديث فاضت به الدراسات منذ عشرات السنين ، وإنما نريد أن نوجز فقط ما يتصل بالوجه الدينى بالنسبة للمرأة خاصة ، لا لشئ إلا لأن البعض مع الأسف الشديد ، وخاصة من جانب بعض الغربيين ومن تابعوهم من بنى جلدتنا ، صوروا التخلف التعليمى للمرأة الذى ران على مجتمعاتنا حقبا طويلة ، باعتبارها جزءا من المسئولية الدينية ، وكان الإسلام كان عقبة أمام المرأة للتعلم والتعليم ، فهذا وهم مؤسف ، والمسألة إنما تعلقت بأوضاع مجتمعية وظروف حضارية ، لا نقول " منعت " أو " حجبت " التعليم عن المرأة ، وإنما نقول " أخرت " و " أبطأت " ..

فى صدر الإسلام كان على نساء النبى صلى الله عليه وسلم مسئولية التعلم والتعليم ، وفى هذا نذكر قول الله تعالى يخاطبهن :

(وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)) سورة الأحزاب .

وآيات الله هنا هي القرآن الكريم ، والحكمة هي سنة للنبي صلى الله عليه وسلم .

وكان بيت رسول الله مدرسة تعاونه فيها نساؤه ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المرأة المسلمة وشنونها الخاصة ، فضلا عن متابعتهم الدقيقة للكتاب والسنة ، وكان للسيدة عائشة في ذلك النصيب الأوفى من رواية الحديث . وكانت رضى الله عنها مرجعا للصحابة في ذلك ، ويروى ابن سعد في طبقاته : عن أبي موسى رضى الله عنه قال : ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون في شئ إلا سألوا عنه عائشة رضى الله عنها فيجدون من ذلك عندها علما .

وإذا كان الخطيب البغدادي قد روى ما كان للمرأة من جهود تعليمية في القرن الخامس الهجري ، وكذلك ابن عساكر ، فإنها ظلت بعد ذلك تأخذ مكانها في مجالس العلم شيخة تجيز للرجال ، إلى القرن التاسع والعاشر للهجرة . وكانت الأمة تبارك مجالس العلم فتصدرها شيخات مسلمات يجزن الرجال في مجالس الحديث والرواية ، ففي مشيخة الإمام جلال الدين الأسيوطي ، نجد عشرين شيخة تصدرن للسمع ، أى سماع الأحاديث والدروس ( ديموقراطية التربية الإسلامية ، ص ١٠٦ ) .

وربما يظن أن المتعلمات أو السيدات الراويات كن من الطبقات التي ترتزق بالرواية أو شئ من هذا ، أو ممن لسن في مستوى لفقه الإسلامى للتمثل بمبادئ الإسلام ، فالذى يسجله التاريخ أن الشيخة سارة أم محمد ابنة شيخ الإسلام السبكي كانت إلى ذلك العصر تجيز للرجال وتحضر مجالس السماع وترأسها .

وبين أيدينا كتاب " سراج الدين البلقيني " - وقد كان شيخ الإسلام وحافظ الدين فيه - نجد أن في كل مشيخات العلماء سيدات مسلمات .  
والتاريخ يذكر أن مالك بن أنس كان يريد أن يتعلم الغناء ، فوجهته أمه إلى الحديث ، وكذلك كانت أم الإمام الشافعي هي التي رعته ( المرجع السابق ، ص ١٠٧ ) .

كذلك يمكن الاستدلال مما ورد في بعض الآيات القرآنية على ضرورة تعلم المرأة للكتابة ، والتي هي المدخل الضرورية للتعلم والتعليم .  
وإذا كان الخطاب في مثل هذه الآيات بصيغة التذكير ، إلا أنه شامل للنساء إلا بمخصص يخرجهن من نص أو إجماع أو بضرورة طبيعية ، لأن النساء شقائق الرجال في التكليف ، ولا خلاف في أنه إذا اجتمع النساء والرجال ، ورد الخطاب أو الخبر مذكرا على طريقة التغليب ( ابن باديس : من هدى النبوة ، ص ١٣٣ ) .

وتأمل قوله تعالى (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْسِرْ مِنْهُ شَيْئًا ) البقرة / ٢٨٢ ، وقوله في نفس الآية ( . . . ) واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ) ، كيف نص في الثانية على الرجال لما كان مقتضيا لهم ، وأطلق في الأولى ، فدل على أنه لا فرق بين أن يكون الكاتب رجلا أو امرأة ، وهو من الأدلة على وجوب تعلم النساء الكتابة .

وهكذا نجد العديد من الأدلة ، سواء فيما يتعلق بنصوص القرآن الكريم ، أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعض خبرات الحضارة الإسلامية ، مما ذكرناه موجزا للغاية ، ومما لم نذكره ، أنه لا صحة للزعم بمسئولية الإسلام عما عانتها المرأة من تخلف تعليمي .

والغريب بهذا الخصوص أن ما يتعلق بلباس المرأة يحرص البعض على التحاكم إلى السياقات الحضارية دون النصوص ، فلم لا تكون السياقات الحضارية هي أيضا وراء مثل هذا التخلف الذي ران على عقل المرأة وليس النصوص !؟

### إرهاصات الخبرة المصرية الحديثة :

الحق أنه يقابلنا في نشأة تعليم البنات في مصر أمران غريبان بعض الشيء ، قد يبدو بينهما ، لأول وهلة تناقض . .

فتعليم الإناث بدأ أهليا واستمر كذلك قرونا ، ولم تضعه السلطة للقائمة في اعتبارها أبدا ، حتى انقضاء الربع الأول من القرن التاسع عشر .  
وفي الوقت نفسه ، فإن الدولة عندما بدأت تقوم بأمر هذا التعليم ، إذا بخطواتها تسبق خطوات الناس أنفسهم ، وعهدنا بحكومات الدول المتخلفة أن تتسم بالمحافظة ، لكن الأمر هنا اختلف ، فالجماهير نفسها هي التي اتخذت مواقف محافظة ، وكانت الحكومات على العكس من ذلك .

وهو الأمر نفسه الذي حدث في المملكة العربية السعودية ، عندما قرن الملك " فيصل " عام ١٩٦١ أن تنشأ مدارس لتعليم البنات ، فعارضه الناس ، بل ولجأ البعض إلى هدم المبنى ليلا !!

أما تفسير الموقفين ، فهو أن جماهير الناس ، أو بمعنى أصح ، بعض هذه الجماهير ، كانت تعلم بناتها في المنزل ، عن طريق معلم خاص أو معلمة ، تعليما دينيا يقتصر على تحفيظ للقرآن الكريم ، أو بعض أجزائه ، مع القراءة والكتابة ، بالنسبة للفقراء وأوساط الناس ، لكن هؤلاء لم يتقبلوا بسهولة أن تخرج البنت إلى مكان غير بيتها تتلقى فيه التعليم ، مما جعلهم يحجمون عنه بالصورة التي قدمتها الدولة . وكانت بعض العائلات الأرستقراطية في مصر تجئ بمعلم أو معلمة لتعليم بناتهن لغة أجنبية أو

الموسيقى أو بعض المعارف والأصول الاجتماعية الحديثة حتى يُحسِنَ التعامل في مجتمع هذه الشريحة الاجتماعية .

وفضلا عن ذلك ، فلا ينبغي أن نغفل عن نوعية الحياة الخاصة بالإناث طوال حقب متعددة ، سواء من حيث " النظرة " إليهن ، أو من حيث المستوى التقنى لما كانت تقوم به من أعمال داخل المنزل .

أما من حيث " النظرة " إليهن ، فقد اتسمت بقدر من الدونية ، لا تتعامل معها من منطلق " الشراكة " الإنسانية عامة ، والشراكة الأسرية خاصة . نظرة حاكم لمحكوم ، وأحيانا نظرة المالك للمملوك ، فضلا عما اتسمت به هذه النظرة من اعتبارها موضعا للمتعة الجنسية بصفة أساسية ، وما يترتب على هذا من حمل وولادة . ومثل هذه النظرة لم تر ضرورة في التنقيف والتعليم والتنوير .

ومن حيث المستوى التقنى للعمل ، فقد استمر حقا طويلة يقف عند حدود دنيا من البدائية ، سواء إذا كان عملا يتصل بالمنزل ، أو يتصل بمساعدة الزوج في الحقل أو المتجر أو أى شأن من الشؤون الاقتصادية ، ومثل هذا المستوى كان يكفى فيه التقليد والمحاكاة ، والاكتفاء بالخبرة ، وندرة الاحتياج إلى معرفة القراءة والكتابة .

ولعل أبرز ما يؤكد هذا هو ما جرى بالنسبة للتعليم الصحى أثناء فترة النهوض العلمى فى عهد محمد على ، حيث أدى قيام مدرسة خصوصية للطب على النمط الغربى الحديث أن تلحق بها مدرسة للولادة سنة ١٨٣٢ ، وأن تتم الولادة وفقا للمستوى العلمى الحديث ، على غير ما كان سائدا من الاعتماد على " الداية " ، أو " القابلة " ، فتقدم النوع الأول فرض تعليما للأنثى حيث رؤى أنها أنسب من يقوم بعمليات التوليد .

ومع ذلك فإن محمد على ، الذى لم يكن يابيه بمعارضة الناس ، حتى ولو فكروا فى ذلك ، لم يجزء أن يفكر فى الاعتماد على إقبال العائلات

المصرية لإرسال بناتها للالتحاق بالمدرسة ، فاعتمد على فئات هامشية من أغوات الحرم ومن الجوارى اللاتي يسهل جمعهن وليس لهن من الأهل ما قد ينفون عقبة في طريق الحكومة .

وعندما مر بعض الوقت وأثبتت التجربة قدرا من النجاح بدأت الحكومة تشجع في ضم تلميذات مصريات ، لكنهن أيضا لم يكن من بنات العائلات ، فقد كانت ست فتيات فقيرات يعالجن بمستشفى أبى زعل ، فلما تم شفاؤهن لم يتقدم أحد لتفقدهن أو أخذهن أحد ، إذ كن يتيمات محرومات من الأهل ، فألحقهن كلوت بك بمدرسة الولادة ( تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، ص ٢٩٧ ) .

وهكذا غابت الإناث عن حركة النهوض التعليمى الضخمة التى شهدتها مصر زمن محمد على إلا من هذا المنفذ الضئيل المتمثل فى مدرسة الولادة ، واستأثر الذكور بالجهد كله ، فضلا عن أن التعليم التقليدى الذى كان قائما فى الأزهر كان هو بدوره يقتصر على الذكور .

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٦٧ ألفت لجنة عهد إليها بدراسة مشروع لتعليم البنات ، وإيداء رأيها فى إنشاء مدرسة خاصة لهن ( تاريخ التعليم فى مصر ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ ) ، وتم بالفعل وضع لائحة للمدرسة وبرنامجا للدراسة ، وتقرر أن تتسع لنحو خمسمائة بنت تتراوح سنهن بين التاسعة والحادية عشر ، وتكون مدة الدراسة بها خمس سنوات ، وجرت استعدادات متعددة لتنفيذ المشروع ، لكنه لم ير النور مع الأسف الشديد .

وكان على الإناث أن ينتظرن حتى عام ١٨٧٢ ، عندما أوعز الخديوى إسماعيل إلى إحدى زوجاته - تشسما أفت خانم - بأن تكون أول مدرسة إسلامية تفتح فى مصر لتعليم البنات على الطريقة الغربية من عملها ، فاشترت الأميرة سراى قديمة بالسيفوية وجددت بناءها ، فصيرتها مدرسة وفتحت أبوابها للطالبات فى ربيع سنة ١٨٧٢ ، وهى السنة التى

غرقت فيها القاهرة فى احتفالات تزويج إسماعيل لأبنائه الذكور الثلاث :  
توفيق ، وحسين ، وحسن •

ولكن ، على الرغم من أن تلك المدرسة جعلت داخلية مجانية ، وأن  
البنات استدعيت إليها من جميع الشرائح الاجتماعية ، بغير تمييز مذهبى أو  
اجتماعى ، وعلى الرغم من أن المعيشة فيها جعلت هنيئة فاخرة ، لم يقع  
فى خلد أحد من الأهالى فى بادئ الأمر أن يبعث بابنته إليها ، لشدة تسلط  
الأوهام الموروثة بغير تفكير ناقد يبدد أسسها الواهية •

ومن هنا لم تجد الأميرة عدد التلميذات اللازم لمدرستها ، واضطرت  
إلى أخذ فتيات الجوارى البيض من بيتها وبيوت أميرات الأسرة المالكة  
وأسرائها وإدخالهن فيها •

لكن ، لكل ليل آخر ••

فما أن مرت فترة قصيرة بعد ذلك ، حتى وجدنا العيون قد تفتحت ،  
والعقول بدأت تزيل ما ران عليها من غبار السنين ، فتشدد الرغبة فى تعليم  
البنات من قبل الأهالى من فئات مختلفة ، ويطلبن المزيد ، وتزيد سرعة  
عجلة التطور إلى أمام •••

ومما لا بد من التنويه به أن كتاتيب مشتركة قامت فى هذه الفترة ،  
إذ كنا لا نملك ما يشير إلى زمن بدايتها ، وقد نص قانون سنة ١٨٩٥  
على أن يقبل بكتاتيب نظارة المعارف من الأطفال " سواء من الذكور أو  
الإناث " من تجاوز سنه خمس سنوات " •

وتشير إحصاءات سنة ١٩٠٣ إلى أن البنات تواجدن فى ٨٦ كتابا  
من ٩٣ كانت تديرها الحكومة ، ولم يتعلمن فى حجرات خاصة بهن إلا فى  
١٣ كتابا ، وكان ثلاث من هذه الكتاتيب التى تدخلها البنات بها أكثر من  
٦٠ بنتا ، وستة بها أكثر من ٣٠ بنتا ، و ١١ كتابا بها أكثر من عشرين بنتا  
( زينب محمد فريد ، ج ١ ، ص ٧٤ ) •

وكان في كتاب السيدة عائشة السطوحية الذي كان تابعا لنظارة المعارف وقائما في ميدان الجمالية سنة ١٩٠٤ ، ثمان وثمانون طفلا من الذكور والإناث ، في سن يتراوح بين خمس سنوات ، وأربع عشرة سنة ، كلهم يزدحمون في حجرة واحدة لا تزيد مساحتها عن أربعة أمتار مربعة ، مما يترافق مع هذا من افتقاد شروط للصحة على أقل تقدير .

ومما هو جدير بالنظر حقا أنه كانت هناك ٤٤٧ بنتا عمياء في الكاتيب سنة ١٩٠٩ .

وظهر أول كتاب حكومي خاص بالبنات سنة ١٩٠١ ، هذا في الوقت الذي كانت فيه الكاتيب الأهلية للبنات أكثر وأسرع نشاطا ، فأمين سامي ( مصر والنيل ، ص ٣١ ) يذكر أنه من بين ٤٦٩٦ كتابا أهليا سنة ١٨٧٥ ، كان منها ١٤ كتابا للبنات فيها ٢١٣ بنتا .

على أن أهم ما تبرزه وثائق تاريخ التعليم ، هو ذلك التمييز الذي استمر طويلا ، بين مناهج تعليم للذكور ، ومناهج تعليم البنات ، في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، حيث كان العبء على البنات أكبر ، لإيجاب تعلمهن مواد لا يدرسها للصبية ، وذلك تحت تأثير فلسفة ترى أن البنات لابد أن تمارس دورا متميزا لا يقوم بها الذكور ألا وهو ما يتصل بشئون المنزل من طهي وكى وغسيل وتنظيف وتربية أطفال ، وغير هذا وذلك مما يتصل بإدارة البيت وتسيير أموره .

وعلى سبيل المثال ، ففي خطة الدراسة بالمدارس الأولية سنة ١٩١٦ ، نجد أن مجموع ساعات الدراسة في كل مادة ، طوال السنوات الأربع كان كما يلي ( تعليم المرحلة الأولى في مصر ، ص ١٥١ ) :

جدول رقم ( ١ ) يبين خطة الدراسة فى المدارس الأولية عام ١٩١٦

بنات	بنون	
٢١	٣١	قرآن
٧	٨	تعليم دينى
٤١	٤٧	لغة عربية
١٥	٢٢	خط
٢٤	٢٨	حساب
٣	٦	أشياء
٥	٥	تدبير
١	١	جغرافيا
١١	--	أشغال حقل
١٧	--	أشغال إبرة
٦	١	رسم

ولم يتغير هذا التمييز إلا فى عهد ثورة يوليو .  
 ونستطيع أن نوجز الصورة العامة لتزايد إقبال البنات المصريات على  
 مستويات التعليم المختلفة ، وذلك بأن نقارن - فى وقت واحد - بين أعداد  
 البنات فى كل مرحلة من مراحل التعليم ( الابتدائى والثانوى والجامعى )  
 بنسبة البنات إلى جملة البنات والبنين منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٧٠ كما  
 يلى :

جدول رقم (٢) يوضح أعداد البنات ونسبتهن على جملة البنات والبنين

فى مختلف مراحل التعليم من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٧٠

الابتدائى ————— الثانوى ————— الجامعى

السنة	عدد البنات %				
١٩٢٠	٢١٧٤٧	٢٤,٥	٢٨	٠,٨٥	---
١٩٣٠	١٠٩٧١٥	٢٩	٩٢٨	٥,٨٧	١٦
١٩٤٠	٢٧٧٤٩٠	٣٥	٢٥٠٣	٦,٢٩	٣٤١
١٩٥٠	٣٦٨٨٠١	٣٨	١٤٥٢١	١٢,٢٦	١٨٢٤
١٩٦٠	٩٩٧٢٦٦	٣٨	٢٨٧٤٨	٢١,٠	١٢٢٩٤
١٩٧٠	١٤٢٢٢٦٢	٣٨	٩٥٠٧٦	٣٢,٠	٦٠٩٢٣

المصدر : سويف ، ص ٥٧

ومن أبرز الملامح التى تشير إلى تزايد الوعى بضرورة تعليم المرأة ظهور الصحافة النسائية وتركيزها على قضية التعليم ، ونشير على نموذج لهذه الصحافة ، مجلة ( المرأة المصرية ) ( ١٩٢٠ - ١٩٣٩ ) أصدرتها " بلسم عبد الملك " ، والتى بدأت حياتها بالتدريس فى المدارس الابتدائية التابعة للجماعات القبطية ، ثم عينت ناظرة لإحدى المدارس فوجهت البنات توجيهها واضحا ، وقوبلت المجلة بترحيب واضح ، حتى لقد قدرت وزارة

المعارف أثرها فاشتركت فيها لمدارسها ، كما ساهمت فى تحريرها فضليات السيدات ( زينب فريد ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ) .

ولعل أهم ما يلفت النظر هو أن الشيخ مصطفى عبد الرازق - أستاذ الفلسفة الإسلامية الشهير - حرص على الكتابة فيها ، وكان مما كتبه مقال عن مركز المرأة فى الهيئة الاجتماعية فى البلاد ، جاء فيه :

" فتر الكلام فى تحرير المرأة لأن المرأة أصبحت حرة بالفعل ، ولا تقف فى سبيل حريتها إرادة الرجل . . . بقى الكلام أيها السيدات فى أمر النهضة النسائية ، ذلك أن الحرية وإن كانت أعز ما يحرص عليه الفرد والجماعة ، فإنها ليست هى الرقى ، ولكنها أساس للرقى " ( المرجع السابق ) .

والغريب أن وزير المعارف " أحمد زكى ابو السعود ، عندما أصدر قرارا بإحلال مدرسات مصريات مكان مدرسات أجنبيات ، انتقده الدكتور طه حسين على صفحات جريدة ( السياسة ) ، وذلك بفعل ما كان بين الإثنين من خصومة ليس هنا مكان تناولها ، فإذا ببلسم عبد الملك تنتقد رأى طه حسين وتمتدح قرار الوزير ( المرجع السابق ، ص ٤٠٨ ) .

وإذا كانت أول مدرسة تجهيزية ( ثانوية ) للبنين قد ظهرت فى قصر العينى فى مصر سنة ١٨٢٥ ، فإن أول مدرسة ثانوية للبنات لم تظهر إلا بعدها بنحو قرن ، وكان التمهيد لظهورها حدث كان مثار قيل وقال ، ذلك أن " نبوية موسى " ، بعد أن تخرجت من المدرسة الابتدائية ، وجدت أن قانون الامتحانات ليس فيه ما ينص على اقتصاره على البنين دون البنات ، فقدمت طلبا بالسماح لها بدخول امتحان الثانوية ، ورفض المستشار الإنجليزي السماح لها بذلك عام ١٩٠٦ ، ثم اضطر إلى القبول عام ١٩٠٧ ، حيث ظهرت قوائم الناجحين من الذكور ، ولأول مرة فى تاريخ التعليم الحديث فى مصر ، تضم هذه القائمة اسما لفتاة .

وتضم مذكرات نبوية موسى ( ص ٨٢ وما بعدها ) ، الكثير من " المقاومة " الاجتماعية لخطوتها ، سواء من جانب الجهات الرسمية ومن جانب الجماهير نفسها ، من حيث الاستهزاء والسخرية .

وقامت أول مدرسة ثانوية للبنات فى ديسمبر عام ١٩٢٠ بالقاهرة ، وذلك " حتى يفتح أمام خريجات المدارس الابتدائية باب الوصول إلى الاستزادة من العلوم الحديثة واللغة العربية وتحصيل بعض اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والتجمل ببعض الفنون كالرسم والموسيقى وذلك لإعداد الطالبات للدراسة العالية فى الطب ومهنة التعليم ، إن كن يرغبن فى ذلك ، أو لمجرد ترقية مستواهن الخلقى والعلمى إن رأين الوقوف عند نهاية الدراسة الثانوية " ( تقرير يبين حال التعليم الذى تتولاه وزارة المعارف أو تشرف عليه من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٢ ، ص ٣١ ) .

ويبين هذا النص اختصاص البنات بتعلم عدة مواد معينة ، وأن الهدف " العلمى " من التعليم للبنات هو التهيئة للعمل بالمجال الطبى أو التدريس فقط ، وهذا ليس هو الهدف الأساسى ، لكن الأساس هو "ترقية مستواهن الخلقى والعلمى " .

وكان عدد الطالبات فى العام الأول ٢٨ طالبة قفز إلى ٤٤ فى للعام التالى ، ثم إلى ١٢١ ، مما يبين مدى السرعة فى التغير الحادث من موقف الرأى العام من هذا التعليم .

وإذا ما قفزنا إلى عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فسوف نجد أن قراءة دستور ١٩٥٦ تورد نصوصا واضحة وصريحة تؤكد على كثير من حقوق المرأة ، مثل :

" تيسر الدولة للمرأة التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الأسرة " ، مادة ١٩

" المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو الدين أو العقيدة " ،  
مادة ٣١ ،

" التعليم حق للمصريين جميعا " ، مادة ٤٩ .

كذلك فإن ميثاق العمل الوطنى الذى صدر عام ١٩٦٢ ، حمل من النصوص ما يعزز من هذه الحقوق ، خاصة وكان قد مضى من عمر الثورة عشر سنوات ، بلغت خلالها درجة عالية من نضج الخبرة واتساع الأفق ، فمن ذلك :

" فالمرأة وقد كافحت من أجل الحصول على حق الشعب فى الحصول على الحرية والحياة ، فمن حقها أن تسترد حقوقها " .  
" والمرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة " .

### تعليم نسوى :

وإذا كان التعليم فى مصر قد عرف من قبل ما كان يسمى " بالتعليم النسوى " ، فإن هذا التعليم كان يلقى رواجاً مدهشاً ، وأبرز مظاهره ما كان يسمى بمدارس الفنون الطرزية ، التى بدأ النشاط فيها واسعا فى التعليم " الحر " ، وهو الإسم الذى كان يطلق على التعليم الخاص ، وخاصة فى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضى ، ووصل عددها فى العام ١٩٥٢-٥١ إلى ثمانى مدارس كان بها ٧٩٦ تلميذة ، وهو عدد كبير بمقاييس هذا الزمان ( زينب فريد ، ص ٦٣١ )

ولما تبين لوزارة المعارف شدة الإقبال على هذا النوع من التعليم استشعرت شدة الحاجة إلى إيجاد نوع من المدارس للبنات يلتحقن به بعد

إتمام الدراسة الابتدائية بنجاح ، ويتلقون فيه قدرا واسعا من مواد الثقافة النسوية ، وقدرا مناسباً من مواد الثقافة العامة بما يؤهلهم لأن يكن في المستقبل ربات بيوت لهن من الثقافة النسوية ما يساعدهن على الاضطلاع بمهمتهم الخطيرة بدرجة تتفق والرقى الاجتماعى الذى بلغته البلاد ، ولذلك صدر القرار رقم ٤٧١٨ فى يونيو سنة ١٩٣٧ بأن تنشأ مدرسة للثقافة النسوية للبنات بالقاهرة ، تكون مدة الدراسة بها أربع سنوات ( المرجع السابق ، ص ٦٣٤ ) .

وقد كان من الطبيعى أن تحل هذه للقضية مكانة مهمة فى كتابات بعض المفكرين ، وبالذات من النساء أنفسهن ، خاصة وقد كان التقدم الحضارى قد بدأ يزحف ، دافعا للمرأة معه إلى مجالات متعددة من العمل خارج المنزل ، مما فرض تساؤلا : إذا كانت المرأة لم تعد فقط ربة منزل ، فهل يظل هذا التعليم للنسوى قائما ؟

فقد رأت " باحثة البادية " ضرورة الاهتمام بالمجالين معا : المجال النسوى ، والمجال المعرفى العام ، فتكون للفتاة متعلمة منقفة واعية منقنة لأعمال منزلها ، تدبر شئونه بصورة علمية حديثة تختلف عما سلكته نساء الأمس وقبل الأمس ( فاطمة على ، ص ١٦٩ ) .

أما " لبيبة هاشم " فقد كانت لها نظرة أكثر تطورا عن غيرها ، فقد رأت أن المواد النسوية لا تعنى فنون التطريز والحياكة والطهى ، وإنما تطلق عليها " فنون نسوية " ، ويمكن للفتاة أن تتعلمها فى المنزل على يد والدتها أو معلمة لتلك الفنون ، أما للمواد النسوية التى تؤهل للزوجية والأمومة ، فهى " للمواد التربوية " ، فتلقى الفتاة دروسا مختلفة فى التربية الصحية ، وكيف تهتم بصحة أبنائها ونظافتهم ، وكيف تقيهم الأمراض ، لا بالإفراط فى رفايتهم ولا تركهم للقانورلات ، ولكن بالاعتدال والمحافظة

عليهم ، مع التعرض للمؤثرات المختلفة حتى يكتسب الجسم مقاومة  
ومناعة .

كذلك أكدت لبيبة على أهمية تعليم ما يتصل بالغذاء وتكوينه ، وأفضل  
أسلوب لتقديمه ، وبذلك أكدت على الأمور البنائية والنفسية لطفلها ،  
وقدراته وملكاته ( المرجع السابق ) .

لكن هذا لا يمنع من وجود موقف آخر مضاد ، كذلك الذى نجده عند "  
إنجى أفلاطون " - وكانت من المتفقات المعروفة باتجاهها اليسارى - التى  
هاجمت تدريس للفنون والمواد النسوية فى مدارس البنات ، حيث رأت أنها  
وسيلة لتقييد المرأة ، وحصر دورها فى منزل للزوجية " هذه المناهج  
وضعت مسبقا لتتوافق مع رغبات الرجل ، ولكى تجبر المرأة على  
استمرار ممارسة الدور الذى رسمه لها منذ آلاف السنين " ( للمرجع  
السابق ، ص ١٧٢ ) .

وعرف التعليم المصرى كلية خاصة للبنات ، كانت فى الأصل لمجرد  
تخريج معلمات ، ثم تحولت كى تكون صورة مصغرة من " جامعة " تضم  
تخصصات مما يماثل كليات العلوم ، وأخرى مما يماثل كليات الآداب ،  
وثالثة مما يماثل الأقسام التربوية فى كليات التربية .

ومع ذلك فإن تسمية للكلية بكلية للبنات لم يعن أن تكون مقرراتها مما  
يخص البنات والمرأة ، وإنما أن من يلتحقن بها هن الطالبات على مستوى  
الدرجة الجامعية الأولى ، أما الدراسات العليا فهو مفتوحة لكلا الجنسين ،  
والكثرة الغالبة من أعضاء هيئة التدريس هن من النساء .

بل إن الكلية كانت تضم قسما خاصا بالدراسات النسائية كان يسمى (   
الاقتصاد المنزلى ) تحول ليكون قسما لدراسات الطفولة ، وصحيح أن هذا  
مما يتصل بالمرأة اتصالا وثيقا ، لكن لا أحد يجادل فى أنه يعنى - أو  
المفروض أن يعنى - الذكور كذلك .

وإن نظرة على المقررات الدراسية ببعض الأقسام الأدبية تكشف لنا مدى القصور في هذه المقررات سواء من حيث عددها أو طبيعة الموضوعات التي تدرس ، فقد اتضح أنه ليس هناك من بين الأقسام الأدبية من يهتم بقضايا المرأة سوى قسم الاجتماع بشعبه الثلاث ، وفيه تدرس مقررات موزعة على السنوات الأربع من السنة الأولى حتى الليسانس ، وهي سوسولوجيا المرأة ، المرأة والسياسات السكانية ، تاريخ الحركة النسائية المصرية . هذا علاوة على مادة المرأة والإعلام التي تدرس بشعبة الإعلام . أما على مستوى الدراسات العليا فلا توجد مقررات خاصة بقضايا المرأة على الرغم من أن معظم أطروحات الماجستير والدكتوراه تدور حول المرأة بشكل أو بآخر ( عبد الباسط عبد المعطى ، واعتماد علام ، ص ٤٥١ ) .

ومما يتصل بشأن تربية المرأة النظر بعين الاعتبار إلى عدد من الأمثال الشعبية المصرية المتعلقة بالمرأة ، حيث أن مثل هذه الأمثال تشكل إلى حد بعيد ما يمكن وصفه بـ " المعايير " أو " القيم " ، يهتدى بها كثيرون في حياتهم الاجتماعية وخاصة بين الملايين من بسطاء الناس ، وربما يكون لهذه الأمثال قوة تفوق قوة الكتب المدرسية لتلاميذ المدارس ( سلوى محمد فرج ، ص ٥٤ ) .

ويمكن تقسيم الأمثال المتعلقة بالمرأة إلى أربع مجموعات ، حسب الغرض الإيديولوجي ، فإذا أخذنا مثلا مثل ( الرجال غابت والمستات سابت ) ، نجده يعتمد على عدد من الأفكار المسبقة من ضمنها أن الرجل هو المسيطر على المرأة ، التي يمكن أن تصبح عرضة للانحلال ، كما يتضح من كلمة " سابت " ذات الإيحاء السلبي ، من دون الرجل ، كما أن المستتج من هذا النص هو أن المرأة لا بد وأن تبقى تحت سيطرة الرجل .

أما المجموعات الأربع فهي :

- ١- قوة وهيمنة الرجل أو الزوج .
  - ٢- اعتمادية المرأة وضعفها .
  - ٣- إلقاء مسؤوليات بعينها على المرأة ، مع التسليم بعدم قدرتها على تحمل المسؤولية .
  - ٤- الحكم على المرأة من حيث المظهر .
- والفكرة الأساسية الكامنة وراء هذه المجموعة ، أن الزوج أو الرجل يملك سلطة الطلاق والتوجيه ، والاستنتاج أن للرجل حق عقاب المرأة :
- اللي يقول لمراته يا عورة تلعب بها الناس الكورة .
  - أخذنتى لحم ورممتى عضم .
  - حماتى مناقرة قال طلق بنتها .
  - لو لسان المرة جهر اقطعه .
  - الرجالة غابت والسنتات سابت .
- والفكرة الأساسية فى المجموعة الثانية هى أهمية الزواج للأنثى ، والاستنتاج أن المرأة ضعيفة ولا تستطيع الاستقلال تماما عن الرجل :
- من كتر خطابها بارت مسى عليها الليل واحتارت .
  - مرة من غير راجل زى الطربوش من غير زر .
  - ضل راجل ولا ضل حيطه .
- وتفترض المجموعة الثالثة أن المنزل مسئولية المرأة ، وهكذا نستنتج ميل المرأة للاستهتار واللهو والتبذير :
- فانت عجبتها فى الماجور ( الوعاء ) وراحت تضرب على الطنبور ( آلة موسيقى ) .
  - فانت أبنها يعيط وراحت تسكت ابن الجيران .
  - المرة المفرطة عليها قطة مسلطة .

أما المجموعة الرابعة فتركز أساسا على مظهر المرأة ، وتفترض هذه الأمثال أن الرجال يحبون الشقراوات ، والاستنتاج هنا أن جمال المرأة هو طريقها إلى الزواج ( المرجع السابق ، ص ٥٥ ) :

- ياريتتى بيضة وليه ضب والله البياض عند الرجال يتحب .
- خد الجميل واقعد قبالة وإن جعت شاهد جماله .
- يا وحشة كوني نعشة .

### تدافع دولى فى الاتجاه المعاكس :

وإذا كنا فى الدراسة الحالية نسعى إلى استعادة الاهتمام بتخصيص المرأة بثقافة تربوية ومعرفية ، لدوافع ومبررات أشرنا إلى بعضها وسوف نتناولها بشئ من التفصيل فى جزء تال ، فإن السنوات الأخيرة عرفت توجهها معاكسا ، لا على المستوى المحلى والإقليمى فحسب ، ولكن على المستوى الدولى كذلك ، أو قل بصراحة أنه بدأ على المستوى الأخير ، ثم كان لابد أن يجر معه المستويين الأول والثانى ، المحلى والإقليمى .

أما هذا الاتجاه المعاكس فهو يتصل بالإلحاح على ضرورة التساوى شبه المطلق بين المرأة والرجل ، مع عدم الأخذ بعين الاعتبار أن ما أحاط بالمرأة من ظروف قهر وتخلف عبر قرون ماضية كان كثير منه يقع على الرجل أيضا ، وأن التساوى المطلق ، كما سبق أن قدمنا فى الدراسة الحالية ، لا يعنى فى كل الأحوال تحقيق العدل ، بل لربما انطوى على ظلم لكلا الطرفين : الرجل والمرأة .

ويرى البعض أن الحركة النسوية المعاصرة التى بدأت فى الستينيات ما هى إلا امتداد للحركة النسوية فى القرن التاسع عشر ، ويمتد هؤلاء فى دعوهم إلى أن الفكرة الجوهرية لكلتا الحركتين والتى انعكست بوضوح على الفكر النسوى هى مساواة المرأة بالرجل . وحقيقة الأمر أن هناك

اختلافات جوهرية بين الحركتين ، وبين الأسس التى نهضت عليها المطالبة بالمساواة فى كل منهما ، ففى حين يرى أغلب أصحاب الاتجاه النسوى من الأمريكيين خلال القرن التاسع عشر أن الاختلافات الشاسعة بين مكانة الرجل والمرأة ترد فى المحل الأول إلى الاختلافات البيولوجية بينهما ، أى الاختلاف فى " الجنس " ، وهى اختلافات تتفاوت فى درجات العمق والسطحية - وفقا لسلوك ومنظور كل منهما - وتعبّر عن نفسها فى اختلاف توزيع الأدوار وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ، حيث تختزل أوار ووظائف المرأة الأساسية وتحصرها فى العمل المنزلى ورعاية الأطفال ، ومن ثم تصبح تلك الاختلافات هى المسئول الأول عن تلك المعاملة غير العادلة التى تتلقاها الكثرة الغالبة من النساء فى المجتمع ( المرأة وقضايا المجتمع ، ص ٣٥ ) .

بيد أن دعاة تحرير المرأة يحاولون محو هذه الاختلافات والقضاء عليها قضاء مبرما ، على نحو ما تطلب الاتجاهات النسوية الراديكالية اليوم ، حيث يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون تحولها إلى ظلم وتفاوت اجتماعى وإنسانى يودى إلى توسيع الهوة بين الذكور والإناث ، وفى المقابل يتجاوز أصحاب الاتجاه النسوى تلك الاختلافات البيولوجية حيث يرجعون جزءا كبيرا من الفوارق الملحوظة بين مكانة الرجل والمرأة إلى عملية التنشئة الاجتماعية ، فالخصائص البيولوجية من وجهة نظرهم تلعب دورا محدودا فى هذا الشأن . وهكذا فإن مناقشتهم لقضية المساواة تستند إلى اعتقاد بأن الاختلافات البيولوجية ينشأ عنها الاختلاف فى الجنس ( Sex ) ، بينما الثقافة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية هى التى تخلق الاختلاف فى النوع ( Gender ) ، ومن ثم فهى التى تضع النساء فى وضع اللامساواة ، من خلال الأدوار التى ترسمها لهن باعتبارهن أمهات

وزوجات فقط ، بينما تمنعهن من ممارسة الأوار والوظائف التي يضطلع بها الرجال ( المرجع السابق ، ص ٣٦ ) .

ولابد أن نعترف بأن ما شهدته الكثرة الغالبة من دول العالم فى العقود الأخيرة من تحول ضخم نحو " للخصخصة " ، وانفتاح الأسواق العالمية أمام بعضها ، ورفع رايات العولمة التي كان من شأنها الاندفاع نحو تغليب نموذج ثقافى بعينه هو النموذج الأمريكى على مختلف الثقافات والمجتمعات ، كان له أثره فى اندفاع ممال على الصعيد الاجتماعى والثقافى فى عقد سلسلة من المؤتمرات الدولية التي خصت المرأة بالنصيب الأكبر من الاهتمام ( أحمد الرشيدى ، ص ٤٣ ) .

وقد أكدت تحليلات نقدية ما أتاحتها العولمة من فرص ، يعانى خلالها فى توزيعه على الصعيد العالمى ، وهو ما ترتب عليه مجموعة من الظواهر والنتائج التي كان نصيب مجتمعات الجنوب من مغارمها كبيرا . لقد رصد باحثون ومحللون من اتجاهات ليديولوجية وفكرية متباينة تأثيرات العولمة على مجتمعات الجنوب التي لم تسر فى خطوات وعمليات تطورها الاجتماعى الاقتصادى فى ضوء قواها للدخلية وظروفها الموضوعية ، حيث تأثرت تاريخيا بعوامل خارجية منذ الاستعمار للتقليدى وحتى عصر العولمة ، ولهذا كانت المصاحبات السلبية للعولمة عندها أكثر تجسدا وجلاء ( عبد الباسط عبد المعطى واعتماد علام ، ص ٢١ ) .

فمن متابعة للمؤشرات الرئيسية التي حملتها تقارير التنمية البشرية الدولية التي يصدرها البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة ، برزت تناقضات صارخة كان من أبرزها :

- أنه مع نهاية التسعينيات أضحت للدول الغنية التي تمثل حوالى ١٤% من سكان العالم أكثر استحوذا على ثلاثة أرباع الناتج الإجمالى العالمى . وإذا كانت العولمة قد عضدت من أهمية للتجارة العالمية ،

فقد زادت تلك التجارة من الفجوة بين المجتمعات الغنية والفقيرة ماديا ، فكل دولار إضافي تصنعه التجارة العالمية يذهب ثلاثة أرباعه إلى الدول الغنية .

- يعانى أكثر من مائة بلد فى الجنوب خلال العقدين الأخيرين من انخفاض معدلات النمو وانخفاض مستويات معيشة سكانها أكثر مما عانته البلدان الصناعية خلال الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينيات من القرن العشرين .

- ارتفع عدد الأفراد الذين يقل دخلهم عن دولار واحد خلال عقد التسعينيات ليصل هذا العدد إلى بليون فرد .

- يعانى أكثر من ٨٠٠ مليون إنسان من الجوع وحوالى ٥٠٠ مليون من سوء التغذية ، ويحدث سنويا قرابة ١٧ مليون وفاة نتيجة أمراض يمكن الشفاء منها .

- وصل معدل وفيات الأمهات أثناء الولادة فى بعض بلدان الجنوب إلى ٣٨٤ حالة وفاة لكل مائة ألف ولادة حية ، وهو معدل يصل إلى اثنى عشر ضعفا لما هو عليه فى بلدان منظمة التعاون والتنمية O.E.C.D ( المرجع السابق ، الصفحة نفسها ) .

وكان للأزمات الاقتصادية والسياسية التى سببتها النزاعات المسلحة والفصل العنصرى آثارها على الفئات والشريحة المستضعفة فى المجتمع وفى مقدمتها المرأة ، وكان من جراء ذلك عقد مؤتمرات مثل ( الأمم المتحدة : ١٩٨٥ ) :

- مؤتمر مكسيكو سیتی سنة ١٩٧٥ .
- المؤتمر العالمى لعقد الأمم المتحدة للمرأة : المساواة والسلام والتنمية ، كوبنهاجن ، يوليو ١٩٨٠ .
- مؤتمر نيروبي ، ١٩٨٥ .

- مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة ، ١٩٩٤
- مؤتمر بكين الذى عقد فى الصين ، عام ١٩٩٥
- مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية ، مارس ، كوبنهاجن ، ١٩٩٥

وسرت العدوى إلى الدول العربية ، فإذا بمؤتمرات قمة عربية للمرأة تقودها زوجات الملوك والرؤساء للعرب :

- القمة العربية الأولى للمرأة عام ٢٠٠٠
- القمة العربية الاستثنائية ، ٢٠٠١
- القمة العربية الثالثة للمرأة ، ٢٠٠٢
- وقامت جامعة الدول العربية خطة وتقريراً :
- خطة للعمل العربية للنهوض بالمرأة حتى عام ٢٠٠٥ ، القاهرة .
- التقرير العربى الموحد لأوضاع المرأة العربية من عام ١٩٩٤ - ٢٠٠٠ ، القاهرة .

ودعم من هذا وذاك أن نقل التكنولوجيا غير الملائمة قد أدى إلى زيادة ظروف عمالة وصحة المرأة سوءاً ، إذ حدث نزوح للأيدى العاملة ، وصاحب هذا النقل نماذج استهلاكية أجنبية ، وفى صناعات كبيرة معينة ، بعضها تديره شركات عابرة للقارات ، وظهرت ممارسات عمالية تمييزية جديدة فى المناطق الريفية والحضرية على حد سواء ، حيث أن الزيادات التى حدثت فى توظيف النساء فى المناطق الحضرية ترجع إلى زيادة استغلال العمالة الرخيصة شبه الماهرة التى تمثلها النساء غير المتزوجات خاصة .

وكانت القوة المتنامية لقطاع المنظمات غير الحكومية ، ولا سيما منظمات المرأة والجماعات المناهية بالمساواة بين الجنسين واحدة من القوى الدافعة للتغيير ، حيث لعبت دوراً كبيراً فى مجال الدعوة لتنفيذ التشريعات

أو إنشاء الآليات التي تكفل تقدم المرأة وفقا للمفاهيم التي روجتها  
المؤتمرات والمنظمات الدولية .

ويضاف إلى ذلك أن الدول العربية أصبحت في موضع الدفاع عن  
احترامها لثقافة الحوار ، والمفاهيم الإنسانية المشتركة في وجه ما سمي  
بصدام الحضارات ، الأمر الذي حتم عليها بذل الجهود في إعطاء قضية  
التحول الديمقراطي والاهتمام بحق الإنسان الكثير من الاهتمام الرسمي  
عبر انتهاج استراتيجيات وطنية ( وقومية على مستوى جامعة الدول  
العربية ) للنهوض بالمرأة وتمكينها سياسيا ، حرصت تقاريرها على إبراز  
التطورات التشريعية والإجرائية التي بذلتها ما بين ١٩٩٥ وعام ٢٠٠٠ ،  
والمسماح بشكل عام بإقامة العديد من المراكز الحقوقية ، والمنظمات المدنية  
، بما فيها دول الخليج العربي التي بدأت تعيد النظر في موقفها من الحقوق  
السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية للإنسان .

ورغم ارتفاع مستويات التعليم خلال العقدين الماضيين في الكثير من  
الدول في العالم ، وتضييق الفجوة في التحصيل بين الذكور والإناث إلا أن  
هناك ما يقرب من ٣٠١ مليون طفل معظمهم من الإناث ، ٩٠ مليون  
محرومات من فرص الحصول على التعليم الابتدائي ، وما زال العجز  
المتبع في التعليم الأساسي ومحور أمية الكبار ، ولا سيما تطعيم البنات  
والنساء ، يشكل في الكثير من البلدان عقبات أمام التقدم ، بالرغم من  
التطورات التي شهدتها العالم منذ أوائل التسعينيات والمتمثلة بالتراكم  
المعرفي الرهيب الناتج ( تتجدد المعلومات كل ١٨ شهرا ) عن اكتشاف  
شبكة الاتصالات العنكبوتية الدولية ( الإنترنت ) التي ربطت للعالم كله ،  
وجعلت منه قرية إلكترونية صغيرة ، ( طلعت عبد الحميد ، ص ١٤٤ ) .  
وقد دعم من موقف المسائرين على هذا الطريق وجود صور ظلم  
وتفرقة لا تتكرر قام الكثير منها في التعليم ، وربما ما زال بعضها قائما ،

ففيما يتعلق بالصور والأنماط التي يتم تقديمها لكلا الجنسين في التعليم ، فهي ، في الواقع ، صور تركز أدوار الجنسين المرسومة اجتماعيا ، فالصبيان هم الذين يقرأون الكتب ، أو يجلسون أمام الحاسب الآلي ، أما البنات ، فإما يلعبن بالدمى ، أو يساعدن الأمهات في الأعمال المنزلية ، أو يقمن بخدمة الإخوة الذكور . وتقدم النساء اللغات بصفتهم أمهات ، أو زوجات ، أو بنات ، أو أخوات ، أى في الحدود الدنيا التي يرتضيها لهم المجتمع . و" بيت " المنهج رسائل مباشرة وغير مباشرة ، عن أحادية دورها في الحياة كأم ، وزوجة ( ٠٠ ) ويحدد أدوار المرأة في أدوار منزلية ، وتعمل زوجته داخل المنزل على راحة ورفاهية أفراد الأسرة ، في روح تضحية سامية ، تتكرر لها أى شخصية أو كيان خارج إطار هذه الأسرة ( نولة درويش ، ص ١٤ ) .

وهناك اهتمام بتحليل محتوى عدد من القصص التي تقدم للأطفال لبيان ما تحمله هي الأخرى من صور تمييز بين الإناث والذكور بصورة تظلم الأنثى وتتجاوز للذكر ، فقد أوضحت دراسة أشارت إليها ( نادية الخولى ، ص ٢٥ ) أن مجموعة كبيرة من القصص تتناول موضوع سلبية النساء والفتيات الصغيرات ودورهن كمتفرجات على الحياة ، بينما توضح قدرة الرجال على الإبداع والمشاركة الإيجابية في بناء المجتمع ، وقد استخدم الرمز كوسيلة لتوصيل هذا المفهوم ، وعلى سبيل المثال ، لا يمكن إحصاء عدد النساء ( والفتيات الصغيرات ) ، وهن ينتظرن من الشباك ( كما هو حالهن في روايات القرن التاسع عشر ) . وكذلك الأميرات في أرباع القلاع والمراهقات اللاتي ينتظرن حبيبهن والفتيات الهوائيات والأمهات الحالطات ، جميعهن يتأملن الحياة ، ولكنهن لا يشاركن فيها . أما الشباك ، فهو يحافظ عليهن ويحميهن ، فمن خلاله ترى النساء ما يحدث في الخارج دون أن يتركن المساحة المخصصة لهن داخل المنزل ،

فعلى سبيل المثال ، تكررت هذه الصورة لسلبية الفتاة ، وعدم مشاركتها فى أى عمل إيجابى فى عدد وفير من القصص ، مثل ( صمت الأميرة - محمد أحمد برانق - و ( الأميرة المسحورة ) فى سلسلة بستان الطفل ، و ( عروس البحيرة ) لعبد الحميد طلبة ، و ( البطل والساحرة ) ، و ( الأمير والفتاة ) ليعقوب الشارونى ، وفى هذه القصص قدمت الفتاة كرمز للجمال والرقّة والاستسلام التام لرغبة بطل القصة الذى يقوم بإنقاذ هذه الفتاة الضعيفة والمغلوبة على أمرها .

لكن هذا الغلو وذاك التطرف الذى غلب على كثير من مقررات المؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة ، وبصفة خاصة ذلك الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ ، استفز كثيرا من المفكرين والمهتمين بالمنظور الإسلامى للمرأة ، فقد رأى هؤلاء أن الاختلاف بين الذكر والأنثى هو من صنع الله تعالى ، وأنه واقع جاءت به سنن المولى عز وجل ، وعبر القرآن عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى :

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى) سورة آل عمران : ٣٦

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)) سورة الحجرات .

(وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٥)) سورة النجم .

(فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩)) سورة القيامة .

(وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣)) الليل .

والإسلام يرفض هذا التماثل الذى يلحون عليه ، بل يرى أنه من الظلم القول بأن الجنسين متماثلان ، فالواقع يرفض ذلك ، إذ أين التماثل إذا كانت المرأة تحمل والرجل لا يحمل ، وترضع بينما لا يستطيع الرجل ذلك ، والله قد اختص المرأة بموهبة تربية الجيل الجديد ( محمد سليم العوا ) .

كما أن ما يعزز هذا الإنكار للتماثل يعنى إنكار وإلغاء أحكام شرعية إسلامية ثابتة بالكتاب والسنة ، كقوامة الرجل على المرأة :

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا

أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ) سورة النساء : ٣٤ ،

والشهادة : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ

فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى) سورة البقرة : ٢٨٢

وكان من الضروري أن تهب معارضة ضد ما نادى به مؤتمر القاهرة

من حق الفرد تغيير هويته النوعية ( أن تصبح الأنثى نكرا أو أن يصبح

الذكر أنثى ) ، إلا إذا كانت هناك نواع فسيولوجية يحكم بها الأطباء

المتخصصون ، وما يترتب على ذلك من أدوار اجتماعية ، والتنديد

بمطالبة المؤتمرات برفع المسؤولية الجنسية عن الشواذ واستنكار اعتراف

المؤتمرات بحقوق الشواذ فى زواج المثليين ، وتكوين أسر غير نمطية ،

والنظر إليهم وكأنهم ضحايا المجتمع نتيجة ما زعموه من هيمنة نكورية

على جسد المرأة .

إن الإسلام يرفض المجتمع وحيد الجنس ، الذى يقوم على التماثل التام

، بل إن القرآن يصف الزوجين بأنهم لباس لبعضهم البعض :

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ) سورة البقرة : ١٨٧ ،

كما يجب أن تسود بينهم مشاعر المودة والرحمة والدفء :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)) سورة الروم .

الحسينى سليمان جاد ، ص ١٤٦ ) .

ونبه فهمى هويدى على إهمال المؤتمرات عمدا لكثير من القضايا

المهمة التى كان يجب أن تتناولها مثل قضية الطفولة ، وحقوق الطفل تجاه

الأم والعكس ، كما تجاهلت الأم حتى إنها دعت إلى تهيئة المرأة لكل الوظائف والمهن باستثناء وظيفة ربة الأسرة ، والعقل المدبر للبيت ، وكل ذلك مجال على درجة عالية من الأهمية ، ولم يكن ذلك التجاهل مصادفة بطبيعة الحال لأن الوثيقة انطلقت من حقيقة أن المرأة كائن منفصل عن المجتمع ، وأنها مخلوق يستمد مشروعيته ودوره من العمل المأجور خارج المنزل حتى صار البيت فى حقيقة الأمر " نزل أو فندق " وليس سكنا للأسرة وحاضنا لخلية فى المجتمع الكبير .

بل إننا لنجد دراسات لباحثات وقفن بعلمية متعمقة أمام مجموعة من التعميمات المتطرفة التى حرصت على تصوير حال المرأة فى العالم الإسلامى بشكل " ظلامى " مؤسف ، فهذه د. أميرة سنبل ، تصحح الصورة التى رسمتها لنا الاستشراقية التقليدية عن عزل النساء وتخلفهن فى العصور العثمانية ، حيث أثبتت الأبحاث عن إرشفيات ووثائق المحاكم والأوقاف أن المجتمع المصرى ، مثلا ، كان مجتمعا حيويا نشطا ومدنيا بمعنى ظهور تحالفات معينة بين فصائل المجتمع المختلفة ، وكذلك عمليات تطور وتفاعل سياسى واقتصادى واجتماعى بناء على عوامل الاستمرارية و " الجدلية " التاريخية ، التى تجرى فى كل المجتمعات البشرية على السواء ، ولم يكن كما تعودنا قراءته بالمنظار الاستشراقى العنصرى مجتمعا تقليديا ، وبالتبعية ، مجتمعا متأخرا ومتحجرا بلا تطور ( أميمة أبو بكر ، ص ٣٩ ) .

وفيما يخص حياة النساء بالذات فى هذه المجتمعات قبل الحديثة ، فعلى الرغم من أنه من الطبيعى ، مثلها مثل غيرها فى هذه الفترة الزمنية ، أن تكون مجتمعات أبوية فى الأساس ، نرى أن بعض المطلقات والأرامل كان بوسعهن العيش وإدارة منازلهن بمفردهن ، وترصد هذه الدراسات تواجد وظهور النساء بالمحاكم يوميا وبصفة روتينية ، يطلبن

تعويضات أو يسجلن عقوداً أو يفسخنها أو يرفعن قضايا طلاق أو نفقة أو خلع أو حضانة أو وصاية . . . إلخ ، وكذلك انتشارهن بأسواق التجارة والشوارع والأوقاف ، ونقرأ عن حالات كثيرة من الدعاوى التي رفعتها بعض النساء ، تشير إلى تفضيلهن الطلاق على أن تتحملن تعنت الزوج وتشدده في منعهن من الخروج إلى هذه المجالات .

وعملت النساء في عهد الدولة العثمانية في صناعات الغزل والنسيج والصناعات اليدوية وصناعة السجاد والملابس - خاصة في ورش المنازل الصغيرة ، وارتدن الأسواق لبيع البضائع ، بل كان بعضهن يملكن كحاكين وأملاك وعقارات وأراض يتصرفن فيها ، وكن ناظرات للأوقاف . وكانت المرأة تذهب إلى المحاكم بنفسها لمباشرة إجراءات التقاضى والشهادة والتسجيل ، فقد كان استخدام المحاكم متاحاً وميسراً للنساء والبت في القضايا الخاصة بهن سريعاً وغير معقد ، وتظهر أنواع القضايا عدم تردد النساء في المطالبة العلنية بحقوقهن ، سواء في المهور المتأخرة أو النفقة أو المؤخر أو طلب الخلع أو الطلاق أو الحضانة أو إتمام شروط العقد الخاص بالزواج وتسجيلها لضمان الحقوق . . . وهكذا ( المرجع السابق ، ص ٤٢ ) .

### نسق معرفى خاص بالمرأة

واتساقاً مع ما سبق أن أشرنا إليه من الجزء الأول من هذه الدراسة ، فإننا نسعى في الجزء الحالى إلى الإشارة إلى عدد من القضايا التى نرى ضرورة أن تعلمها المرأة من خلال نسق معرفى متميز خاص بها يمكن تدريسه فى إحدى مراحل التعليم ، والذي يمكن أن يقتصر على سنة دراسية بعينها أو أكثر ، وإن كان من المفضل أن يكون لسنة دراسية واحدة

، وفي مرحلة التعليم الثانوى ، على سبيل التجريب ، فإذا ما نجحت الفكرة ، يمكن مدها إلى سنوات أخرى .

ونؤكد أيضا على أن ما نعرضه هنا يحتاج إلى " تلاحح فكرى " عبر مشاركة أكثر من واحد ، وخاصة عبر مشاركة نسائية ، حيث أن أمرا مثل هذا من العسير أن نزع لجهدنا الفردى قدرة على القول الفصل فيه .

### وجه الحاجة إلى " تعليم نسوى " :

ومن المثير للانتباه حقا ، أن هناك من الغربيين من التفت إلى القضية نفسها منذ وقت مبكر ، ويتبين لنا هذا مما عرضته الدكتورة سامية الساعاتى ( ص ١٣٥ ) مما ورد فى كتاب بعنوان : The Sociology of House Work ( سوسيولوجيا العمل المنزلى ) لمؤلفته ( مارتن روبرتسون ) Martin Robertson والصادر عام ١٩٧٤ ، وكان من الموضوعات التى تضمنها الكتاب : نظرة النساء للعمل المنزلى ، ونظرتهم إلى أنفسهن كربات بيوت ، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلى ، واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهى وتنظيف . . . إلخ ، ومدة العمل المنزلى الذى تقوم به المرأة محسوبا بالأسبوع ، ومدى أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكد من أن العمل المنزلى يتم على وجه أكمل ، وكأسلوب على مكافأة الذات .

وقد ظهر من خلال فحص أربعين استبار طبقتة الباحثة على ربوات بيوت إنجليزيات حضريات أن هناك مفهوما واضحا للعمل المنزلى كعمل قد بدأ بيزغ ، فالنساء فى عينة البحث يخبرن العمل المنزلى ، ويعرفنه على أنه عمل مماثل لذلك الذى يتطلبه أى موقف عمل ، وقد ارتبطت ملاحظات هؤلاء النساء ارتباطا وثيقا بنتائج علم اجتماع العمل ، فقد كان لمظاهر العمل المنزلى التى أطلق عليها أنها مشبعة أو غير مشبعة نظائر

فى عالم المصنع ، والمكتب • ويتأكد هذا التطابق بوجود ميل لدى النساء لمقارنة انعكاساتهن نحو العمل المنزلى بخبرتهن فى العمل خارج منازلهن ( المرجع السابق ، ص ١٣٩ ) •

وقد كانت هناك أسئلة تكشف عن إيجابيات العمل المنزلى وحسناته كما يفصح عن سلبياته ومساوئه • وقد تبلورت إيجابيات العمل ، كما عبرت عنها الزوجات فى مظاهر كثيرة أهمها الاستقلال والذاتية ، ووجود الأطفال ، وتوفير ظروف العمل الحر ، وعدم الاضطرار للخروج من المنزل ، ووجود الزوج ، وتوفير الحياة العائلية • وقد قصت عينة الزوجات بالذاتية والاستقلال ، التحرر من الرقابة والقدرة على تحديد إيقاع العمل المنزلى وسرعته •

أما سلبيات العمل المنزلى ، فالحق أنها قد تركزت فى العمل نفسه ، من حيث ما يتضمنه ويتبعه من الرتابة ، والتكرار ، والسأم ، والمسئولية المنزلية المستمرة ، والعزلة والوحدة ، وضرورة الانتهاء من العمل المنزلى والتقييد الشديد بالمنزل •

وقد اقتفت باحثة مصرية (د. سامية الخشاب ) أثر الباحثة الإنجليزية فأجرت دراسة على ثلاثمائة امرأة فى محافظة الجيزة ، من مستويات مختلفة لتكشف عن اتجاهاتهن نحو العمل المنزلى ، حيث تبين لها ( ص ١٢٧ ) أنهن لديهن اتجاهات إيجابية بصفة عامة نحو العمل المنزلى ، والمرأة تقبل على هذا العمل من منطلق أنه عمل مقدس وواجب حتمى يجب أن تقوم به المرأة ، وقد تأكد لها هذا الاتجاه الإيجابى فى مواقف عدة :

١- أجابت أكثر من ٨٩ % من أفراد العينة بأنهن يحرصن على تعليم بناتهن الأعمال المنزلية •

٢- احترام المرأة التي تتقن الأعمال المنزلية ، فقد بلغت نسبة اللاتي يحترمن ويكبرن المرأة التي تتقن الأعمال المنزلية ٩٨ % من أفراد العينة .

٣- الاتجاه الإيجابي نحو كلمة " ست البيت " ، حيث كانت نسبة اللاتي لديهن اتجاها إيجابيا نحو هذه الكلمة ٧٨ % من أفراد العينة .  
وفي تصورنا أن مثل هذه الدراسة لو أعيدت في أيامنا الحالية لربما حصلت على نتائج أقل من هذا ، فالإلحاح المستمر عبر كافة أجهزة الثقافة والإعلام والتعليم على النظر بغير عين التقدير للعمل المنزلي ، والإلحاح المستمر على الخروج للعمل ، لا بد أن يكون له أثره فى تشكيل وعى المرأة المعاصرة .

### الأسس الفكرية :

فإذا كنا نقدم تصورا مقترحا لنسق معرفى يتصل بتعليم المرأة ما تختص به بحكم طبيعتها ووظائفها وأدوارها ، فإن هذا التصور بدوره يقوم على عدد من الأسس التى تشكل " ظهيرا إيديولوجيا " ، نصرح بأنه مستمد من العقيدة الإسلامية بالدرجة الأولى .

ولربما يكون التعبير " بالأسس الفكرية " عاما إلى حد ما وهو الأمر الذى وعينا به ، ذلك أن ما سوف نسوقه من أسس يقوم عليها التصور المقترح ، هى مزيج من أسس مستمدة من كل من الدين ، ومن الفلسفة ، ومن الثقافة ، ومن المجتمع . ولأنها لا تدخل فى تفاصيل هذه المجالات وتقتصر على مجموعة الأفكار الممتدة عبرها ، اخترنا هذا التعبير .

أما هذه الأسس ، فهى مستمدة من عمل علمى وفكرى كبير شارك فيه عدد من أساتذة التربية الإسلامية والفكر الإسلامى ، والعلوم الشرعية بعنوان ( ميثاق الإسلام فى الأسرة ) ، وتتضمن الأسس ما يلى :

١- تأهيل الإنسان لحمل الرسالة ( ص ٩٨ ) : فتحقيقاً لرسالة الإنسان في الأرض ، وهبه الله من القدرات العقلية والنفسية والجسدية ما يجعله أهلاً لتحقيق هذه الرسالة ، وأرسل إليه الرسل لهدايتِهِ إلى أقوم سبل الرشَد والفلاح في الدنيا والآخرة ، ويؤكد هذا قول المولى عز وجل في كتابه الكريم : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لِيَا تَعْمَلُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ((٧٨)) سورة النحل : ٧٨ ، كما وهبه الله تعالى القدرة النفسية والجسدية فقال جل شأنه ( اَللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ إِنَّكُم لَئِلَىٰ رَبِّكُمْ فَتُبَارَكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)) سورة غافر .

٢- التساوى في أصل الخلق وتنوع الخصائص ( ص ١٠٠ ) : فقد خلق الله البشر جميعاً متساوين في أصل الخلق من نفس واحدة ، ويتساوون تبعاً لذلك في الخصائص العامة ، ومع ذلك اقتضت حكمة الله أن يتفاوتوا في بعض الخصائص كالقوة والضعف ، وفي الملكات والقدرات النفسية والعقلية والجسمية ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ) سورة النساء : ١ . وهذا التنوع البشري في بعض الخصائص هو قوام الحياة بالتعارف والتعاون والتكامل بين الأفراد والمجتمعات ، وليس مدعاة والتباغض ، كما أشرنا من قبل إلى الآية ١٣ من سورة الحجرات ، حيث حددت الهدف ألا وهو " التعارفوا " ، وقال (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)) سورة الأنفال .

٣- تكامل الزوجين : الذكر والأنثى ( ص ١٠١ ) : فمع وحدة الإنسان في أصل الخلق من نفس واحدة ، فقد خلق الله منها بقدرته زوجين

نكرا وأنتى ، يقول تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ) سورة فاطر : ١١ ، ولا تستمر الحياة وتعمر الأرض ويتكاثر النوع إلا بتلاقيهما وتعاونهما وتكاملهما ، وتلك سنة الله فى جميع الكائنات الدنيوية ، ومن الرابطة بين الرجل والمرأة تتكون الأسرة ، وهى النواة الأولى للمجتمع الإنسانى ، يقول تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيِّنًا وَحَقْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)) سورة النحل .

٤- وحدة خطاب التكليف والمساواة فى الحقوق والواجبات ( ص ١٠٣ )  
 : فالمساواة بين الرجل والمرأة فى فطرة الخلق الطبيعية تقتضى أمرين : أولهما : المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى الأغلب الأعم من شئون الحياة واعتبار كل منهما مكملًا للآخر ومتمما لرسالته وشريكا له فى الحياة الزوجية والاجتماعية عدا بعض الخصوصيات المميزة لكل منهما فى تكوينه البدنى والنفسى فيختص كل منهما بما تميز فيه ، يقول تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)) سورة النساء ، وقال : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا (١٨٩)) سورة الأعراف . والثانى : اتساقا مع هذا الأصل ، جاء الخطاب الشرعى موحدًا يتناول كلا من الرجل والمرأة فى سائر الأمور التى يتساويان فيها كالتكليف بالأوامر والنواهى ، وفى الحلال والحرام ، والثواب والعقاب ، وفى الحقوق والواجبات الإنسانية العامة ، وفى الكرامة البشرية ، كما جاء هذا الخطاب خاصا بكل منهما فى الأمور الخاصة به ، وتروى

السيدة عائشة رضی الله عنها فی هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " النساء شقائق الرجال " ( حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والترمذی والدارمی والدارقطنی ) .

٥- تنوع التخصصات ( ص ١٠٦ ) ، فتمايز كل من الرجل والمرأة بخصائص وملكات وقدرات بدنية ونفسية معينة لا تجعل أحدهما أعلى شأنًا من الآخر ، ولكنه منوط بصلاحيته لأداء وظائف حياتية معينة لا يستطيع الآخر القيام بها ، وهى سنة البشر كافة حتى بين الرجال وبعضهم والنساء وبعضهن . فالمرأة بعاطفتها ورقتها وأنوئتها مصدر الاستقرار والسكن النفسى والاجتماعى للرجل والأسرة ، وبفطرتها وصبرها غير المحدود على مشاق الحمل والولادة والأمومة ترعى أطفالها وتعتنى بهم رضاعة وتربية وتقوم على سائر شئونهم ، والرجل بقوته وجلده وكدحه المتواصل منوط به تحصيل الرزق وتلبية احتياجات أسرته والقيام على رعايتها وحمايتها . فإذا كان سبحانه قد قرر مبدأ القوامة فى الآية ٣٤ من سورة النساء ، فقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التمايز فى الخصائص والأدوار لا يعنى أبدا تمايزا فى الحقوق الإنسانية ، ومن هنا قوله فى خطبة الوداع " أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ) .

٦- صلاح المجتمع فى الإقرار بالخصائص الفطرية ( ص ١١١ ) ، فالتنكر للفروق سابق الإشارة إليها غير جائز عقلا وطبعًا وشرعًا لما فيه من امتهان للفطرة وإنكار لظواهر طبيعية متجسدة واقعا وعملا ومعلومة للكافة بالعلم اليقيني والمعملى . كما لا يجوز شرعا

التوسع فى أعمال هذه الفروق بمدى خارج نطاق الحالات التى تستوجبها لأن كلا الأمرين غالبا ما يؤدى إلى فساد كبير وخلل مجتمعى وقيمى يهدد بتدمير المجتمع ولو طال الأمد .

٧- أهمية الأسرة وضرورة وجود رئيس لها ( ص ١٢١ ) : فالأسرة كمجموع بشرى وليس الأفراد هى اللبنة الأولى والوحدة الاجتماعية الأساسية للمجتمع ، وتتجسد فيها أركان المجتمع ومقوماته البنائية ، ومهما صغر حجمها أو عدد أفرادها فإنهم يرتبطون بعلاقات عاطفية واجتماعية ومالية وتتظمهم حقوق وواجبات ، فلا يستقيم أمرها دون قيادة تدير شئونها ، وهى إدارة خاضعة للضوابط والأحكام الشرعية فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالقوامة المنصوص عليها فى الإسلام هى قوامة شورى ورحمة ومودة وليست رياسة قهر وتحكم واستبداد . إنها إرشاد إلى الطريق السليم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهى تقوم أساسا على التشاور ، فالنص القرآنى يقول عن المسلمين ( وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ) سورة الشورى : ٣٨ ، عام يتخلل مختلف مجالات الحياة .

٨- مسئولية الأمة عن حماية الأسرة ورعايتها ( ص ١٣٩ ) ، حيث تقوم هذه المسئولية على دعامين : الأولى ، أنها تحقق مقصدا شرعيا لأن الإسلام يقضى بأن الأصل فى الزواج التأييد ، وفى الأسرة البقاء والدوام ، وإتماما لواجب التشجيع على الزواج الذى لا يستوفى مقاصد الشرعية إلا ببقاء الأسرة بالذود عنها ورعايتها . الثانية ، أن الأمة عندما تحمى الأسرة من عوامل الانهيار والتفكك إنما تحمى نفسها وقيما الاجتماعية والأخلاقية .

## التصور المقترح :

أما التصور المقترح للنسق المعرفى المرغوب فيه ، كى نُعلم للمرأة من خلاله ما يرفع من كفاءتها فى أداء الأعمال المتصلة ببناء الأسرة ، فيتناول خمس مجالات أساسية ، راعينا فيها تناول :

١- ما يتصل بالتكوين الذاتى الفطرى للمرأة .

٢- ما يتصل بالتكوين الذاتى المكتسب من خلال عمليات تنشئة وتربية

ونمو علمى وثقافى

٣- ما يتصل بالعلاقة بالآخر " الذكرى " .

٤- ما يتصل بتكوين أسرة .

٥- ما يتصل بالعلاقة بالمجتمع .

وكل مجال ، يتضمن عددا من القضايا والموضوعات الفرعية .

مع ضرورة الوعى بأن هذا التقسيم أو التصنيف ، لا ينفى للتداخل

والترابط بين كل هذه المجالات ، وما تتضمنه من فروع .

ومن المهم أن ننبه إلى أن الموضوعات والقضايا التى سوف نشير

إليها لم نقصد أبدا " بحثها " وإنما مجرد الإشارة إليها على اعتبار أن تكون

موضوعا للبحث والكتابة والتعليم والتعلم ، وإن اضطررنا أحيانا لشيء من

التوضيح والشرح .

## ١- التكوين الذاتى الفطرى :

ونقصد به تكوين المرأة كما خلقها الله ، فى حالة الفطرة التى سويت

عليها ، وهذا التكوين الفطرى يشكل ما يمكن تسميته بالبنية الشخصية

للإنسان ، تلك البنية التى تتشكل بناء على أسسها وعناصرها ما تكون عليه

المرأة فى سنوات عمرها المختلفة ، فهذا مما لا بد أن يكون هو الموضوع

الأول الذى لابد من أن تعلم المرأة كل ما يتصل به ، سواء من ناحية التكوين الجسمى أو التكوين النفسى .

صحيح أن هناك فى الدراسات النفسية فرع خاص هو " علم نفس النمو " ، لكنه عادة ما يتناول الجوانب العامة المشتركة بين الذكور والإناث ، وإن كان يشير ، عند تناول فترة المراهقة إلى ما تختص به الإناث من تغيرات جسمية ، لكننا نريد دراسة تنصب جميعها على المرأة ، خاصة وأن التمايز الجسمى بين الجنسين يبدأ ظهوره منذ الميلاد . كذلك ، فمن الملاحظ أن علم نفس النمو ، كما يدرس فى جامعاتنا للطلاب لا يكاد يتناول المراحل المتأخرة من العمر ، وهى فترة مهمة للغاية بالنسبة للإناث من خلال ما هو معروف مما يسمى " بسن اليأس " .

ويرتبط بالتكوين دراسة الناحية التشريحية السطحية الخاصة بشكل الجسم كما يبدو فى نظر الأطفال ، حيث يحدث كثيرا بحكم ثقافتنا أن يتخذ الأطفال الذكور هذا مظهرا لقوتهم ، بعكس الأنثى التى قد ترى فى هذا المظهر علامة ضعف .

كذلك ما يتصل بالتركيب التشريحي الداخلى ، حيث الجهاز التناسلى ، وما يتميز به لدى المرأة من تعقد ودقة تركيب وشمول ، قياسا إلى الجهاز التناسلى لدى الرجل .

والمرأة بحكم تركيبها التشريحي هذا وبحكم وظيفة الحمل مركزة أكثر من الرجل حول نفسها ، وحياتها الجنسية مرتبطة بعدد أكبر من الوظائف أهمها وظيفة تكوين الجنين ووظيفة الرضاعة ، وما يترتب على ذلك من بعض الآثار النفسية الهامة ، فقد تتنازعها أحيانا قوتان متضادتان : الاندفاع الجنى من جهة ، والخوف من الحمل من جهة أخرى ، وقد تتغلب القوة الثانية على الأولى ، وما قد ينتج هذا من بعض المتاعب النفسية ( يوسف مراد ، ص ٥٠ ) .

وهناك ما يتصل بخضوع جسم الأنثى لتغيرات دورية كل شهر هي وظيفة تكوين البويضة . ولا يقتصر أثر تكوين البويضة وما يتبعه من عمليات فسيولوجية على إحداث الشعور بالتعب ، بل هناك آثار أعمق ترجع إلى إفراز الهرمونات الخاصة بالأنثى نون الذكر ، فمثل هذه الأمور لا بد من أن تدرسها الفتاة بقدر من التركيز والتفصيل ، خاصة وأن حدوثها للبنات لأول مرة كثيرا ما يصيبها بالخوف والقلق ، خاصة إذا لم تكن لديها فكرة مسبقة عنها .

وتدرس الفتاة في هذا الموضوع للفروق بين الذكور والإناث بسبب طبيعة الهرمونات التي تفرز في دم كل منهما ، حيث تبين أن هرمون التستوسترون Testosterone هو الهرمون المسئول عن مظاهر الذكورة ، في حين أن هرمون الإستروجين Oestrogen هو الهرمون المسئول عن مظاهر الأنوثة . ويصاحب إفراز كل هرمون في الدم في كل من الذكور والإناث بعض المظاهر الجنسية للثانوية .

وتدرس الفتيات كيف أنه لا يعرف كائن مطلق للذكورة أو كامل الأنوثة ، إذ أن كل كائن يحوى النوعين من الهرمونات ، وإن كانت نسبة أحدهما إلى الأخرى تختلف ، ويتراوح تدريجيا بين الذكورة المطلقة والأنوثة الكاملة ، وهما نهايتان نظريتان فحسب ، ولذا فإن بعض الرجال أشد ذكورة من غيرهم ، أو أضعفها ، وبعض النساء أكثر أنوثة من غيرهن أو أقلها ، وبينهم تسلسل من الدرجات الوسيطة التي لا نهاية لها ، وهذا هو السبب في تخنث بعض الرجال وترجل بعض النساء ( رشاد عبد العزيز ، ص ١٣ ) .

ومما يجب تعلمه كذلك ، أن نوع الجنين ، ذكرا كان أو أنثى يتحدد عند تلقيح البويضة بعدد الكروموسومات التي تضمها ، ولا يمكن تغييره بأية طريقة ، ثم ينمو كل من النوعين للذكر أو الأنثى نموا متشابهها كل

التشابه ، إلى أن تظهر الخصية فى الجنين الذكر وتبدأ فى صنع التستوسترون ، وعندئذ ، وتحت تأثير هذا الهرمون ، تتحول الأعضاء التناسلية الخارجية إلى شكلها المميز ، كما يظهر المبيض فى الجنين الأنثى ، ويبدأ فى إفراز الإستروجين الذى يصبغ عليها ملامح الأنوثة .

وإذا كانت البنت فى المرحلة السابقة على البلوغ لا تكاد تهتم بجسمها ، ولا تكاد تعنى بهندامها ، نراها فى مرحلة البلوغ تتصرف إلى العناية بجسمها ، وتكرس الكثير من وقتها وجهدها لتجميل نفسها . ونلاحظ أن اهتمام البنت بالمسائل الجنسية قد يفوق اهتمام الفتى ، وربما كان السبب فى ذلك هو أن المجتمع والمربين والوالدين يشعرون الفتاة منذ البداية بأن حياتها وثيقة الصلة بالأسرار الجنسية من حيض وحمل ووضع وأمومة وتثنية للصغار . إلخ ، فتبدأ قيود على حركتها ، فى الوقت الذى ترى فيه الفتى لا يتعرض لمثل هذه القيود ، مما يقر فى ذهنها أن حالتها الجنسية يمكن أن تكون مصدر مشكلات وباب يمكن أن يذلف منه شيطان رجيم !!

وإذا كان الشاب قلما يفكر فى وظيفة الأبوة فى فترة المراهقة ، فإن البنت تعرف مقدما أن مصيرها رهن بالزواج والأمومة . وسواء تلقى الفتاة تعليمها الجنسى مبكرا أم متأخرا ، فإنها لابد من أن تدرك يوما أن الطفل لا يظهر فى بطن الأم بطريقة سحرية ، وإنما لابد من أن يتعاون الوالدان على تكوينه .

ومن المهم للغاية أن يتضمن برنامج تعليم المرأة فى هذا المجال ، دراسة لمرحلة " سن اليأس " ، وهنا يتم تعليم الفتاة أن ما يميز هذه المرحلة فسيولوجيا هو انقطاع الحيض ، وتوقف تكوين البويضات ، وضمور الأعضاء التناسلية ، وظهور أعراض الشيخوخة على باقى أجزاء الجسم . وإذا كان البعض قد أطلق على هذه الفترة من حياة المرأة اسم " المرحلة

الحرجة " ، فذلك لأن للتغيرات الهرمونية التي تطرأ على جسم المرأة آثاراً سيكولوجية تعبر عن أراجاع الأنثى بلإزاء هذا الاتحدار الجسمى ، أو الاتحلل العضوى الذى تتعرض له فيما بين سن ٤٥ و ٥٠ عادة .  
ومما يجب أن تتضمنه دراسة هذا الموضوع ، بيان أن لمن اليلس مرحلة تمهيدية ( تشبه مرحلة البلوغ بالنسبة لحدور المراهقة ) ، وهذه المرحلة تتميز بحدوث اضطرابات فى العادة الشهرية تجئ مصحوبة ببعض حالات الأرق والحصر للنفسى وسرعة التهيج والهبوط للنفسى .  
والظاهر أن المرأة فى هذه المرحلة تترك العمليات البيولوجية الباطنة قبل أن تقطن إلى التغيرات العضوية الخارجية ، وهذه الأمارة الباطنة سرعان ما تقترن بإدراك العلامات الأولى للشيوخة ، مما قد يترتب عليها اهتمام البعض منهن بشخصها .

## ٢- تكوين الذات المكتسبة :

وإذا كان الحديث فى البند السابق خاصا بذات المرأة الجسمية والنفسية ، كما صاغتها فطرة المولى عز وجل ، فإن هذه الذات تمر عب الولادة بما يصعب حصره من عمليات نشئة وتربية ، تتكون من خلالها شخصية الإنسان ، وبالضرورة شخصية المرأة .

ولما كانت الشخصية متعددة الجوانب ، مختلفة المجالات ، كل من الطبيعى أن تتعد " التربيات " - إذا صح هذا التعبير - أو مجالات التنشئة والتكوين ، مما يوجب أن يتضمن النسق المعرفى المقترح جزءا خاصا بكيفية تنمية المرأة لذاتها فى عدد من المجالات . والتنمية هنا يمكن أن تتم " ذاتيا " بجهد خاص من المرأة نفسها وهو أسلوب وصيغة من الصيغ التربوية متعارف عليها ألا وهى " لتعلم الذاتى " ، وذلك عن طريق

المؤسسات التربوية المسئولة عن التربية والتنشئة ، مثل الأسرة والمدرسة ودور العبادة ، خاصة فى سنوات الطفولة ، وحتى المراهقة المتأخرة .

وربما يحتاج تناول هذه القضية صفحات أوسع ، مما يضطرنا إلى سوق بعض الأمثلة ، قاصدين فيها لا أن نتناول " كيفية التربية " فى هذا وذاك ، فليس هذا من مهام الدراسة الحالية ، وإنما هى تقصد أن تكون دليلا ، أو خريطة ، تقترح العناوين ، مقترنة بشئ من الشرح الموجز ، على أساس ، أن التنفيذ لابد أن يسفر عن مثل هذا التفصيل المنشود .

- فهناك على سبيل المثال جانب التنمية العقلية ، والسبل التى ترشد إليها ، خاصة وأن إرثنا الاجتماعى والثقافى يشكك فى هذا الجانب ، وللدكتور يوسف القرضاوى فى مجلديه عن الفتاوى المعاصرة شرح مهم للحديث الشهير عن وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين ، بما يفيد ارتباط المسألة " بظروف " تختص بها المرأة أحيانا ، وليس انتقاصا من حقها وكرامتها ، وأشار بصفة خاصة إلى الدورة الشهرية وما تؤدى إليه من عدم القيام ببعض الفروض الدينية ، مثل الصلاة والصيام ، مما يعبر عن نقص دينى ، لكنها لا تحاسب عليه . وكذلك أشار إلى غلبة العاطفة فى كثير من الأحيان ، دون أن يعنى هذا أيضا قلة فهم لديها وسوء وعى وإدراك ، مما يؤثر أحيانا على ما قد يصدر عنها من أحكام ومواقف . ومن المعروف أن حياة الإنسان كثيرا ما تكون بأشد الحاجة إلى " بث عاطفى " يربط الحياة ويخفف من وطأة آلامها ومشاقها .

وعلى أية حال ، فإن توجيه الاهتمام إلى تنمية بعض المهارات العقلية من شأنه أن يزيد من فاعلية التفكير ، وربما نخص هنا بالذات الوعى بما يختص بمنطقة العاطفة ، وما يختص بمنطقة العقل ، بحيث لا يجوز المنطق العاطفى على ما لابد أن يحتكم إلى العقل والمنطق ، وهو الأمر الذى نستشعره جميعا - ذكورا وإناثا - عندما يتصل أمر ما بأولادنا

، وبمصالحنا الأسرية والشخصية ، فكثيرا ما نجنح إلى تحكيم العاطفة ،  
وننحى المنطق العقلى جانبا ، بل ونسئ استخدامه فى التبرير لما جئنا  
إليه وجدانيا .

ونشير أيضا إلى تدريب المرأة على مهارات التفكير النقدى ،  
والحرص على طرح التساؤلات ، بحيث لا يتم التسليم دائما بما يقال  
ويحدث ، وهذا ما نلمس حرص تقاليدنا الثقافية والاجتماعية السابقة على  
حرمان الإناث منه ، مع الأسف الشديد ، بل ولومها إذا لم تسلم بما يقال  
على الفور وأخذت تتساعل عن مدى مصداقيته ، بل ويصل الأمر فى  
بعض الأحوال إلى النظر إلى الفتاة قليلة السؤال والتعليق والنقد بأن هذا  
دليل " أدب " و حسن أخلاق !!

- وهناك أيضا التربية لوقت الفراغ . صحيح أن كثيرات يشكين فى  
السنوات الأخيرة من ضيق الوقت وزحمة فى العمل ، نتيجة ما سوف نشير  
إليه فيما بعد من تعدد الأوار التى أُلقيت على عاتق المرأة فى العقود  
الأخيرة ، لكن هذا يشيع غالبا بين من يعملن خارج المنزل ويكن متزوجات  
ولهن أولاد ، لكن : هناك من لا يعملن ، وهناك من يعملن ولم يتزوجن ،  
ومن يعملن وتزوجن ولم ينجبن ، وكل فئة من هذه الفئات قد يصل عددها  
إلى ملايين ، ، ومن ثم نجد أننا أمام قطاعات عريضة ربما تصل إلى  
ملايين بغير مبالغة يواجهن أوقات فراغ ، غالبا ما يقضى فى ثرثرة  
ومجرد زيارات وما قد يصل إلى إيمان فى مشاهدة التلفزيون ، لا فى  
تقاريره الإخبارية وبرامجه النقاشية ، وحواراته الثقافية ، ولكن ، فى  
الغالب ، فى مشاهدة مسلسلات وأفلام متكررة ، وبعضها " يسطح " العقل  
حقا ، فضلا عما يرين من برامج تسودها للسذاجة والبدائية فى التفكير .

إننا على وجه العموم ما زلن نتعامل مع " الوقت " بقليل من الرشيد  
والتعقل ، مع ما أصبح معروفا فى السنوات الأخيرة بأن إدارة الوقت

أصبحت علما ، لما تبين من أنه " ثروة " تتفرد عن سائر الثروات بأنها غير قابلة للتعويض بعد استهلاكها ، على عكس كافة الثروات الأخرى ، فكيف ، وعلى أى وجه يمكن للمرأة أن تستثمر وقت فراغها فيما هو مفيد لها ولأولادها ، ولأسرتها والمجتمع ؟

- وهناك أيضا التنمية العلمية ، بحيث لا تقف المرأة التى تعلمت تخصصا معيناً عند حدود ما مجالته ينمو نموا مذهلا ، سواء فى المجالات الإنسانية أو الطبيعية والتطبيقية ، وأن الرضا بالتوقف عند حدود سنوات التعليم النظامى إنما هو " تحجر " ، وصورة من صور لا نبالغ إذا وصفناها فى زمننا الحالى بأنها مؤدية إلى شكل من أشكال التخلف .

إننا ينبغى ألا نوجه اللوم إلى خريجينا عندما نراهم يكادون يقذفون بمذكراتهم وكتبهم عرض الحائط معلنين فرحهم بالتخلص منها وانتهاء فترة التعليم ، ونتصور أن ذلك قصور منهم ، وإنما هو نتيجة لأساليب التعليم السيئة التى نمارسها فى مدارسنا وفى جامعاتنا ، وهذا أدعى إلى السعى الحثيث لإقناع المرأة بأن الحفاظ على مكانتها وتقدير الآخرين لها ، وقبل ذلك تقديرنا لنفسها يحتاج منها أن تتابع ، ولو إلى حد ما ، بعض التطورات ، من خلال بعض القراءات .

- أما التنشئة الثقافية ، فهى قضية حيوية لا للمرأة وحدها وإنما لكل مواطن ، لكننا هنا نخصها بالتقدير والأهمية ، نظرا للدور الخطير الذى تقوم به المرأة الأم بصفة خاصة ، إذ مما لا شك فيه أنه كلما اتسعت دائرة الثقافة لدى الأم ، كلما تعمق وعيها ونضج تفكيرها ، وأصبحت ممن يفكرون تفكيراً يوصف " بالحكمة " ورجاحة العقل ، فالتساع دائرة الثقافة يتيح للإنسان رؤية أوسع للأمور ، وتعددا فى جوانبها وتنوعاً فى زوايا الرؤية ، وبالتالي تصبح مرجعا " حكيماً " لأبنائها ، لا بمعنى أن " تفتى " فى شتى المجالات ، فضلا عن أن هذا أمر مستحيل واقعا ، ولكن بمعنى

- مرة أخرى - مرونة التفكير واتساع الأفق وسعة الصدر ، وتعددا فى فرص إمكان الإجابة عن بعض التساؤلات التى يطرحها الأبناء ، أو توجيههم إلى بعض الآفاق المعرفية التى تفيدهم أكثر من غيرها ، وتحذيرهم من بعض المجالات التى على العكس من ذلك ، ومزيذا من القنرة على فحص ما يجئ به الأبناء من مصادر معلومات ، قد تحمل الغث الضار، وقد تحمل السمين المعين .

### ٣- العلاقة بالرجل :

فليس معنى إلحاحنا على أن تدرس المرأة كل ما يتصل بتكوينها وحياتها ووظائفها وأوارها أن يقف الأمر عند حدودها الشخصية ، ذلك أن كل ما يتصل بحياتها ، يتصل بالضرورة بالنصف الآخر المكمل وهو الرجل ، فهو أبوها ، وربما يكون لها أبا ، وأحيانا ما يكون لها عما ، وخالا ، فضلا عن كونه جدا . وهو يكون شريك حياتها عند الزواج ، وهو يزاملها فى الجامعة ، وغالبا ما يزاملها فى العمل ، وقد يكون رئيسا لها ، أو تكون هى رئيسة له . وفى كل الأحوال فإن هذا يفرض وعيا علميا وثقافيا ببعض ما يتصل بهذا النصف الآخر .

والأصل العام فى الإسلام الذى لابد أن تستند إليه التربية الأسرية فى هذا الجانب ، هو المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة كما أشرنا من قبل ، والاستثناء هو اختصاص كل منهما ببعض الوظائف التى لا يستطيع الآخر القيام بها ، بحكم تكوينه البدنى والنفسى وخصائصه الذاتية ( ميثاق الأسرة فى الإسلام ، ص ١٨٧ ) . وليس ثمة مانع شرعى من توزيع الأعباء الاجتماعية بين الرجل والمرأة بما يحقق المصلحة العامة .

ومن أبرز القيم المعنوية والأخلاقية بين الزوجين : الشراكة التامة فى أمور الحياة الزوجية كل على حسب ما يناسب تكوينه وقدراته ومركزه

القانونى ، وينبغى أن تكون هذه الشراكة قائمة على التراضى والتشاور ، وهو من باب احترام عقل الإنسان واختياراته الشخصية ، قال تعالى : (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)) سورة البقرة .

وتوجب الشريعة الإسلامية على كل من الزوجين واجب احترام الآخر من عدة وجوه :

- فعلى الزوجة أن تحترم زوجها وتقدر متاعبه الحياتية ومراعاة مكانته فى الأسرة وإعانتة على تحمل أعبائه وعلى سائر شئونه واحترام قرابته واعتبارهم فى مكانة قرابته من النسب .
- وعلى الزوج احترام مشاعر زوجته وتجنب كل ما يجرح كرامتها ، سواء فى خلوة أو على ملا من الناس وخاصة أمام أحد من أهله أو أهلها ، كما أن عليه احترام أهلها

كذلك فإن أبرز ما يتصل بالعلاقة بين الذكر والأنثى ، المسألة المتعلقة بالتقافة الجنسية ، صحيح أن العلاقة بين المرأة والرجل لا ينبغى أن تتحور حول الجنس ، لكن الذى لا شك فيه أنها قضية على جانب كبير من الأهمية ، إلى الدرجة التى يؤكد فيها كثير من الاختصاصيين فى مشكلات الأسرة أنها مصدر متقدم فى الأولوية فى الكثير من النزاعات والمشكلات التى تنشأ داخل الأسرة . ولا ندرى حقا ما الذى يؤخر اقتحام هذا المجال ليكون قضية علمية تعليمية ، وهو يتعلق "بغريزة الحياة" نفسها ، وما يتصل باحتياج أساسى لا لكل إنسان ، بل ولكل كائن حى ؟ وليس التنقيف الجنىسى مطلوبا للمرأة لذاتها بحيث تستتير بكل ما يتصل بهذا الجانب ، ولكنه مطلوب كذلك حتى يمكن أن تتقل الضرورى منها إلى الأبناء ، الذين يتساءلون كثيرا عن الموضوعات الجنسية . إننا نسمع كثيرا

من الآباء والأمهات والمربين يتساعلون : هل يجوز لهم مصارحة الولد أو البنت في كل ما يطرأ عليهم من علامات البلوغ ومظاهر المراهقة ؟ وهل لهم أن يحدثوهم عن الأعضاء التناسلية ووظيفتها ، وعن الحمل والولادة وكيفيةها ؟ وهل يجوز مصارحتهم بالأمراض الجنسية وأخطارها وأسبابها ، وكيفية الوقاية منها ؟ وهل يتعارض هذا مع الدين ؟

والرجل في كل مجال من المجالات التي أشرنا إليها يحتاج إلى شكل خاص من التعامل ، وبصفة خاصة في حالة كونه زميلا ، حيث نلاحظ تراوفا فيما يحدث في هذا المجال من حال كانت تعيش فيها في انفصال تام يحيط به جو من الغموض والتحریم ، إلى حال يكاد يسود الآن ، زاد فيه الانفتاح في العلاقات إلى حد يثير القلق حقا ، مما ينتج أحيانا بعض الصور المؤسفة ، لعل أشهرها ما أصبح مؤكدا من وجود حالات زواج سرى ، فما الشكل الذي ينبغي أن تأخذه العلاقة قبل الزواج مع زملاء الدراسة وزملاء العمل ، والجيران ؟

وكذلك العلاقة مع الرجل باعتباره زوجا ، وما قد تحدثه مشكلات الحياة اليومية من غيوم وتوترات ، ربما تؤدي إلى العصف بالحياة الزوجية . وكذلك ما قد يصيب للحياة الزوجية من فتور وملل ، وأيضا ما قد يتعرض له الزوج من انحراف .

#### ٤- التربية الأسرية :

وبداية لابد أن يقوم تعليم الأئني في هذا الشأن على ضرورة قيام الأسرة على مبادئ الدين وقواعده ، وذلك اعتمادا على عدد من النصوص الشرعية فقال تعالى ( وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ

وَالْمَغْفِرَةَ بِأُذُنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)) سورة البقرة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله " لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء ( مقطوعة بعض الأنف ومقوبة الأذن ) سوداء ذات دين أفضل " ( حديث ضعيف رواه ابن ماجة ، وابن حبان ، والبيهقي ١٠٠ ) ، فهو وإن كان ضعيفا ، لكن مضمونه يتسق مع تعاليم الإسلام.

فبتأثير التدايعات المختلفة للعلم ، وخاصة منذ " نيوتن " تسيد مفهوم للعالم يركز على أساس مادي بحت ، يتطلب التعامل معه على أساس " كمى " ، مما أفرز منهجا علميا يقوم على تقدير ما يمكن أن يقاس فقط ، وإسقاط ما يصعب على القياس . وها قد تجاوز العلم المعاصر فيزياء نيوتن ، بفعل تطورات فى جوانب علمية شتى ، ليبرهن على أن هذا الذى تدركه حواسنا ، والأجهزة المساعدة ليس هو بالفعل كل ما يوجد . وكان المفهوم السابق لطبيعة العالم ومفهوم العلم قد أخفق فى أن يجلب للإنسان الراحة التى كان ينشدها ، والسعادة التى كان يبتغيها ، رغم الكم الكبير من المخترعات التى توصل إليها . لقد أصبح هذا الإنسان يتوق إلى تلك الجوانب التى افتقدها طويلا ، والتى تتمثل فى " الحب " و " الحنان " و " الود " و " نداء " العلاقات الإنسانية وما يجرى مجراها من عواطف ومشاعر وأحاسيس ، كانت تقابل من قبل بالسخرية وكأنها مظهر من مظاهر التخلف وأسلوب من أساليب " الإنشاء " !

إن مثل هذه الأمور والجوانب هى " الأسمنت " الذى يشد لبنات البناء الاجتماعى بعضه إلى بعض ليقوم قويا شديد الأساس ، قوى الجدران ،

وهى من الأمور التى يستحيل ، أو يصعب قياسها وترتيبها واصطناعها ، وإهمالها ، قد ضيع على البشرية الكثير مما يصعب تقديره . إنها نباتات ، لها تربتها الطبيعية وأسمدتها الخاصة ، ومناخها الذى لا تتبث إلا فيه ، ألا وهو الأسرة . الأسرة التى يتواجد أفرادها معا شطرا كبيرا من اليوم وجها لوجه ، لا عن طريق " رنة " أو " رنات " عن طريق " المحمول " وإنما بأن يتفاعل أفرادها معا بطرق مباشرة وشخصية ، ولا يكتفون بمجرد الارتباط القانونى والشرعى ، ثم يظل كل واحد منهم دائرا فى فلكه الخاص معظم ساعات اليوم لا يعرف البيت إلا فى ساعات النوم فقط .

والمرأة ، زوجة ، ولما ، وبنات ، وأختا ، هى النبع الأساسى الذى يمكن أن يفجر طاقات الحب والدفء الأسرى التى أثبتت ، حتى الدراسات الاقتصادية المادية ، أنها ذات أثر مذهل - فى صورتها السوية الصحيحة - على زيادة الإنتاج ، دون أن نقع فى أسر التعبيرات البلاغية وبغير أن نحلق فى أجواء الخيال العاطفى .

ومما يمكن أن يعين على ذلك أن تتعلم المرأة ما نسميه بالتربية الأسرية ، والتى يمكن أن تتضمن عددا من القضايا والفروع ، نسوق منها على سبيل المثال :

- تربية الطفل : تربية الطفل ، فى مهده الأول ، تشكل البنور الأساسية لبنية الشخصية على حد كبير ، طوال الحياة . ولقد بينت دراسات علمية نفسية كثيرة ، أن تنشئة الطفل أطول فترة ممكنة فى السنوات الأولى ، عن طريق أمه ، هو عمل لا يستطيع أن يعوضه الجهد الكبير الذى قد تبذله دور الحضانة والمربيات . وإذا قلنا هذا ، قلنا فى الوقت نفسه ، أن هذه التربية تحتاج إلى تفرغ جزءا من الوقت ، وكذلك تحتاج إلى دراسة " علم " له آفاقه فى دراسات الطفولة . وتشتد الحاجة إلى ذلك اليوم ، حيث - لا بد أن نعترف مع

الأسف الشديد - نلمس كيف تخلت المدرسة عن كثير من جوانب مهمة " التربية " لتكتفى بمهمة " التعليم " ، نتيجة عوامل متعددة لا مكان للإشارة إليها هنا . وإذا كان إنشاء دور الحضانة ورياض الأطفال يتزايد شيئاً فشيئاً ليخفف من أعباء المرأة ، لكن تظل " الأم " هي المصدر الأساسي . ويوجب ميثاق الأسرة في الإسلام في المادة ( ١١٢ ) ، ص ٣٣٥ أن يكون من أولويات التربية الأساسية للطفل تعليمه قواعد الإيمان وتدريبه على عبادة الله وطاعته ، وتأديبه بآداب الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، وتعويدَه على اجتناب المحرمات ، وسائر السلوكيات والعادات السيئة والضارة ، والبعد عن قراء السوء ، وتوجيهه إلى الرياضة المفيدة والقراءة النافعة ، وأن يكون الوالدان أو المسئولون عن رعايته قوة عملية صالحة له في كل ذلك . ومن المهم كذلك مراعاة التدرج في منح الطفل هامشاً من الحرية ، وفقاً لتطوره العمري ، بما يعمق شعوره بالمسئولية تمهيداً لتحمله المسئولية الكاملة عند بلوغه السن القانونية . وأيضاً من الضروري حماية الطفل وخاصة في مرحلة المراهقة من استئثار الغرائز الجنسية والانفعال العاطفي عند التوعية الجنسية .

- إدارة البيت : فالمادة ( ٧٥ ) من ميثاق الأسرة في الإسلام ( ص ٢٦١ ) توجب على المرأة القيام بشئون بيت الزوجية والأولاد على الوجه الملائم لأمثالهما ، وهو واجب عليها ديانة وبحكم ما لا بد أن يقوم بينهما من روابط المودة والرحمة والتعاون على ما فيه سعادتهما ، ولكنها لا تجبر عليه قضاء . وإذا كانت تعمل خارج المنزل ، فعليها أن تسهم في نفقات البيت بالقدر المناسب لحالهما وحسبما يتفقان عليه رضاً ، أو بتقدير حكم عدل بين الطرفين . ولا نقصد بإدارة البيت هنا فقط التنظيم والقيادة واتخاذ القرارات ، وإنما نقصد

ما يتصل بأعمال البيت مما كان يسمى " التدبير المنزلى " ، فأعمال البيت اليوم لا يكفى فيها التقليد والمحاكاة من البنت لأُمها ، وإنما تقوم على علوم ومعارف متقدمة لابد من تعلمها فى منهاج خاص بذلك . وإذا كان البعض يتصور أن الأجهزة الحديثة يمكن أن تغنى للمرأة عن استهلاك وقت طويل فى أعمال المنزل ، وأن أنماط الحياة الحديثة توفر لها كثيرا من المنتجات الجاهزة ، فإننا نؤكد أن هذا ، إذا كان يمكن أن يحدث ، ففطاقه يكاد ينحصر فى المناطق المتوسطة والمتقدمة اقتصاديا وثقافيا ، بينما الكثرة الغالبة من الجماهير ، فى المناطق الفقيرة لا يمكنها الاعتماد على مثل هذا . وفى بعض المجتمعات ، نجد مؤسسات تعليمية تعرض على المرأة برامج لصيانة أجهزة المنزل وبعض الأدوات فيه ، مما يوفر قدرا لا بأس به من المال ، فضلا عن ضمان جودة .

- ومن قبل هذا وذاك ، فإن الطريق إلى تكوين أسرة ، أمر يحتاج إلى وعى وإلى معرفة وعلم ، إذ لم تعد المسألة هى تعارف فتى على فتاة أو العكس ، ثم يمضيا فى طريق تكوين الأسرة ، وإنما أصبحت هناك الآن صعوبات وعقبات متعددة تحول بين للشباب وبين تكوين أسرة بالفعل ، مما نلمسه من تزايد نسبة العنوسة ، وانتشار ما يسمى بالزواج العرفى ، والذي يقع - بالصورة التى يحدث بها بين شباب اليوم - فى دائرة الحرام ، حيث يخلو من عنصر الإشهار والإعلان ، فضلا عن رأى بعض الفقهاء بضرورة أن يتم بولى . ويتصل بخطوات تكوين أسرة ، بل وينبغى أن يكون فى مقدمة أولويات هذه القضية ، مسألة " الاختيار " ، سواء اختيار الفتى للفتاة أو العكس ، والظروف التى تحيط بهذا الاختيار ومدى سويتها أو انحرافها ، ودور الأهل فى ذلك . وهناك لزمة العثور على مسكن ، والتى

تتفاقم بحيث تعجز العدد الأكبر من الشباب . وهناك بعض الممارسات الجنسية الخاطئة التي يقع فيها بعض الشباب نتيجة طول فترة عدم الزواج وإلحاح الغريزة الجنسية ، مما قد يكون سببا في تكون ما يسمى " بالعقد " النفسية تجاه الزواج . وهناك ارتفاع تكاليف الزواج نفسه ، من حيث ما تنتشر في السنوات الأخيرة من تزايد في المظهرية والتفاخر ، سواء في الهدايا ، أو تقدير المهور ، أو أسعار الأثاث أو احتفالات الزواج . . . إلى غير هذا وذلك من مشكلات ، يمكن أن تؤدي دراستها والوعى بها إلى إعمال الفكر بحثا عن حلول لها .

- وهناك ما يتصل بالعلاقات الزوجية ، حيث قد تكتشف الفتاة بصفة خاصة عجزا جنسيا لدى الزوج ، وهو الأمر الذي بدأ يشيع في السنوات الأخيرة بصورة تدعو إلى الدهشة وتستوجب دراستها . وكذلك قد يكتشف الزوج عيبا ما لدى الزوجة ، من حيث ما قد يكون من برود جنسى ، على سبيل المثال ، ومن ثم فإن دراسة احتمالات المشكلات التي يمكن أن تظهر في أيام الزواج الأولى يمكن أن يدفع كثيرين إلى الاقتناع بأهمية " الكشف " الطبى ، على الأقل قبل الزواج ، حتى تستقيم العلاقات الزوجية في حدها الأدنى . ودراسة هذا الجانب أيضا لا بد أن تتضمن " حدود السلطة " في الأسرة : ما الذى يكون فى سلطة الزوج ، وما الذى يكون من سلطة الزوجة ، وما الذى يكون مشتركا ؟ لقد أصبح شائعا بين كثيرين السخرية من ذلك النموذج الذى أصبح منسوبا إلى بطل رواية نجيب محفوظ " سى السيد " ، وهو الأمر الذى يحتاج إلى إعادة نظر ، فالسلطة المطلقة لسى السيد ، لم تكن شرا كلها ، فقد كان لها حسناتها حيث كان يوفر الحماية الكاملة للزوجة ، ويتكفل بكل ما يتطلبه

المنزل والزوجة والأولاد من مصاريف ، بل ، وتوفير الحاجيات ،  
فهل لابد من الاختيار بين نموذج سى السيد ، وما أصبح شائعا الآن  
من العكس من ذلك من حيث الضعف الشديد لسلطة الأب ، وما  
أصبح هناك من تزايد بعض مظاهر " الانفلات " داخل الأسرة ؟

## ٥- المرأة والمجتمع :

ونقصد بهذا الجزء مجموعة من القضايا التي تتصل بعلاقة المرأة " بالآخر " ، والآخر هنا هو ما يقع خارج أسرتها الصغيرة المتضمنة للزوج والأولاد ، إذ لابد من التسليم بما أصبح الأمر عليه فى الحقبة المعاصرة ، وهو ما يختلف كثيرا عن الأمس حيث كانت المرأة محصورة إلى حد كبير فى دائرة عائلتها الممتدة دون أن تدرى بما يكون عليه الأمر فى مجتمع القرية أو المدنية ، فضلا عن الوطن ، وللعالم أجمع ، فبالإضافة إلى ما أدى إليه عمل المرأة من احتكاكها المستمر بدوائر مجتمعية متعددة ، فإن وسائل الاتصال الحديثة ، وفى مقدمتها "الإنترنت" و القنوات الفضائية ، قد وضعتها فى قلب الأحداث ، سواء كانت هذه الأحداث اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، أو غير هذا وذلك .

ويستتبع هذا ضرورة وعى المرأة بأن مسئوليتها عن حسن تكوين أسرتها وسوائها ، ومساهمتها الفعالة فى للتنشئة والتربية للأبناء ، إنما هو خطوة أساس لحسن وسلامة البناء الاجتماعى الكبير الخاص بالأمة كلها ، مصداقا للتعبير الشهير بأن الأسرة هى حقا الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومن ثم فلا مكان لذلك الاتجاه الذى أصبح يتردد بين البعض " أنا وبعدى الطوفان " ، أو " مالنا ومالهم " ، أو غير هذا وذلك من شعارات تشير على " أنانية " ، حتى ولو كانت خاصة بمجموع الأسرة ، وتشير إلى مرض اجتماعى خطير يسمى " الخلاص للفردى " ، أى بحث الإنسان عن حلول

لمشكلاته الشخصية أو الأسرية ، دون وعى بمدى ما قد يؤدي إليه مثل هذا الحل الفردي من آثار سلبية على مجموع أبناء الأمة .

وهنا لابد من وعى المرأة بما يلي من القضايا :

- تعدد الأدوار : فنحن اليوم أصبحنا نطالب المرأة بالعديد من الأدوار التي قد يتعارض بعضها مع بعض ، فإن لم يكن هناك تعارض ، فهناك " تزامم " بحيث قد ينتهى الأمر إلى " عجز " و " قصور " فى تأدية كثير منها . فنحن نطالبها بأن تكون " زوجة " و " أما " و " عاملة " و " مربية " و " معلمة " ، و " مديرة بيت " . . إلخ . بل إننا فى هذه الدراسة نوحى بمثل هذا ، من خلال هذه الموضوعات والقضايا التي نقتراح أن تتضمنها برامج تعليم المرأة . وتكاد هذه القضية تتفرد بالوجود فى عالما العربى ، حيث ظللنا نطالب المرأة بنفس الأدوار التي كانت عليها عندما كانت متفرغة كربة بيت ، فأصبحت اليوم تقوم بالأدوار التقليدية والأدوار المستجدة معا . وقد يرى البعض أن إبراز تعدد الأدوار المطلوبة من المرأة ربما يؤدي إلى تمردها عليها ، لكننا نأمل أن يحدث العكس ، ولا يتحقق هذا الغرض المرجو إلا بالوعى بحقيقة الموقف القائم ، وبما يجب أن يكون ، وقياس الفجوة بين الجانبين ، وكيفية عبورها . ولعل من أولى المهام المفروض تضمينها فى مثل هذا البرنامج ما يجب أن يكون من " أولويات " بين الأدوار ، ذلك أن ضعف الوعى بفقته الأولويات هنا يعد مسئولا خطيرا عما يحدث من تناقض وخلل وتقصير . وهناك دور ظهر - مثلا - مؤخرا ما كان يجب أن ينشأ حيث ألقى معظمه على كاهل المرأة الأم ، نتيجة تقصير مؤسف للغالبية الكبرى من المدارس ، مما يضطر كثيرا من الأمهات أن يقمن " بالمذاكرة " مع أولادهم ، خاصة فى السنوات الأولى من

المرحلة الابتدائية ، وحيث يكون الأب فى الغالب منشغلا بعمله  
الأساسى .

- الخدمة الاجتماعية . فنحن نعلم أن المرأة ، عندما يكبر الأولاد  
ويتزوجون ويستقلوا بحياتهم ، وتواجه بفترة التقاعد والمعاش ،  
ويكون الله قد أتاها صحة لا بأس بها تمكنها من مواصلة العطاء ،  
يمكن أن تواجه فراغا طويلا من الوقت ، يختلف عن ذلك الفراغ فى  
الوقت الذى سبق أن أشرنا إليه ، فهو هنا يكاد يعلن للمرأة أن "  
دورها " قد انتهى فى الحياة ، أو ضعف إلى حد كبير ، وهو شعور  
قاتل يواجهه كثيرون من الموظفين بصفة خاصة عندما يحالون إلى  
المعاش ، وأمر مثل هذا يشير إلينا بأهمية دراسة الجانب الخاص  
بالخدمة الاجتماعية ، وخاصة تلك الصور التى ربما تحتاج إلى "  
تطوع " ، ولا تعينها إمكانياتها على دفع أجر يكافئ قيمة النشاط  
المبذول . وفى مجتمع مثل المجتمع المصرى بصفة خاصة حيث ما  
زالت مشكلة مثل الأمية تخيم على عقول ما قد يصل إلى عشرين  
مليوناً من المواطنين ، فضلا عما هو معروف من شيوع الفقر بين  
ملايين من السكان ، يحتاجون إلى أن يحصلوا على بعض الخدمات  
دون أن يتكفوا دفع ثمنها . وهناك القضية الكبيرة الخطيرة الشهيرة  
الخاصة بما يعرف بأولاد الشوارع . وكذلك ما يتصل برعاية الأيتام  
، ونوى الاحتياجات الخاصة من المعوقين ، وغير هذا وذلك من  
مشكلات ومجالات ، يمكن أن تبرز احتياجها إلى جهد المرأة .

- الوعي السياسى : وهو يتمثل فى مستويات متعددة ، لعل أعلاها "  
المشاركة السياسية " التى قد تكون عن طريق الانضمام إلى أحد  
الأحزاب السياسية ، وقد تكون عن طريق للمشاركة فى التصويت  
بالنسبة للانتخابات البرلمانية ، وكيف أن هذا وذاك ، وغيرهما من

صور المشاركة السياسية ليس دفعا بالمرأة إلى أتون بحر من المشكلات والهموم التي هي في غنى عنها ، ويكفيها هموم الأسرة والزوج والأولاد والعمل . وإنما هي تدعيم لمكانة المرأة ودفع لها للمساهمة في تصحيح الأوضاع السياسية وإقامتها على أسس سوية ، فمشكلات السياسة تعود بالضرورة في نهاية الأمر - إن سلبا أو إيجابا - على الأسرة ، مما يتبدى في السياسة الاقتصادية ، وفي سياسة التعليم ، وفي قوانين العمل . إننا نلح على هذا الجانب بالذات حيث تشيع سلبية النساء في مجتمعنا بصورة واضحة ، في الوقت الذي تغلو فيه الأصوات المنادية بحقوق المرأة وتصحيح أوضاعها وتخليصها مما يقع عليها من ظلم وقهر وإرهاب ، فهل يمكن أن يأتيها كل هذا وغيره ، وهي مولية ظهرها لهموم الأمة وقضاياها ومشكلاتها ؟ صحيح أن تحليل المواقف قد يشير إلى أن الذنب يكمن في أحوال تحيط بالعملية الانتخابية ، حيث أحداث عنف رأيناها في انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠٠٥ ، لكن لا بد من الإلحاح على أن العلاج لا يكون بإدارة الظهر والتباعد .

- ولعل من القضايا المهمة كذلك ، ما عرف في السنوات الأخيرة " بفقته المرأة " ، فعلى الرغم من النصوص الصريحة الواضحة القاضية بالتساوي بين الإناث والذكور في كثير من الأمور ، إلا أن الخالق الذي خلق الإناث ببعض ما يتميزن به ويفردن ، أورد في كتابه العزيز بعض التوجيهات والأحكام الخاصة بالنساء ، مما يفضل أن تكون للنساء دراية به . ولا ننسى القضايا الخاصة بالزواج والطلاق والمهر والعدة وحضانة الأطفال ، والملبس ، وغير هذا وذلك من مسائل وقضايا . بطبيعة الحال ليس مقصودا هنا أن تكون المرأة " فقيهة " ، فهناك من تخصصوا في ذلك ، إناثا وذكورا ،

ولكن ما نقصده هنا أمرين ، أولهما : أن يتوافر لدى المرأة قدر من الثقافة الدينية المتصلة بما تختص به يشبه ما نسميه فى النواحي الصحية " بالإسعافات الأولية " التى يستحسن توافر من يقوم بها حتى تحول الحالة على الطبيب المختص . الأمر الثانى : أن يكون لدى المرأة " حس " يميز بين السطحى والمتعمق ، حيث نجد أنفسنا فى السنوات الأخيرة أمام " لزحام " غير عادى فىمن يتصدون للفتوى ، فضلا عن القائمين فى أماكن متعددة ، وخاصة المساجد ، حيث يلمس البعض تعارضا يوقع جمهور الناس فى حيرة .

- ومن أجل تهيئة المرأة للمشاركة فى العمل العام ، من الضرورى إكساب المرأة مجموعة من المهارات السلوكية الإدارية من قبيل القدرة على الاتصال الجيد والفعال ، والتدريب على اتخاذ القرار ، والتفاوض وإدارة الصراع ، وإدارة الوقت ، وبناء فرق العمل والتفكير الابتكارى . وبطبيعة الحال فإن مثل هذه البرامج يمكن أن تساهم التدريبية فى تدعيم مساهمة المرأة فى الحياة العامة ، سواء أكانت تحتل مواقع قيادية ، أم إشرافية فى الجهاز الإدارى ، أم كانت تحتل مناصب تنفيذية ، أم كانت عضوة فى الجمعيات الأهلية ، أم كانت جزءا من القطاع الخاص فى مجالات الخدمة والإنتاج ( المجلس القومى للمرأة ، ص ١١١ ) .

ربما يبرز انطباع سريع للوهلة الأولى نتيجة الاطلاع على كل هذه القضايا والموضوعات التي رأينا من المهم للغاية أن تدرسها المرأة ، والتي تتضمن بالتبعية " مهام " و " أدوارا " عليها القيام بها ، أنها يمكن أن تشكل عبئا ثقيلا على المرأة ، وأنها ، مجتمعة ، توحى بعسر تنفيذها ، ونحن بدورنا لا بد أن نسارع إلى التنبيه بأن كثيرا من هذه الموضوعات والقضايا هي " ثقافة " و " معرفة " ، فروعها متداخلة ، متكاملة ، لا نلمس لها - فى الواقع - وجودا متمائزا ينبئ عن " تعدد " و " تنوع " ، ومن ثم فلا خوف مما بدت عليه من " تضخم " ، فمقصد الدراسة والبحث والتفكير هو الذى اقتضى تقريبا وتجزئيا وتعديدا قد يوحى بتقل فى المهام وعبء فى المسئوليات . . هذا من ناحية . .

ومن ناحية أخرى فلا بد وأن نعترف بأن خروج المرأة للعمل ، فى الوقت الذى تدير فيه شئون أسرة وأولاد ، ربما يكون مسئولا مسئولة غير قليلة عن خوف من أن تعجز المرأة عن تحمل كل هذا . إننا لا نشجب هنا مبدأ عمل المرأة أبدا ، بصفة مطلقة ، فهو حق إنسانى لا ينبغى المنازعة فيه ، واحتياج بشرى لا يمكن الوقوف إزاءه موقفا سلبيًا ، لكن هناك حقوقا متعددة هنا ينبغى ترتيب أولوياتها إذا حدث تعارض أو تنازع بينها ، فلأسرة ، ككيان اجتماعى وحضين تربيوى حق أساسى تطلبه من المرأة لا بد أن تكون له الأولوية والصدارة ، ومن ثم ، فإذا لم تحوج الظروف المرأة للعمل ، أو إذا كان لها أطفال ، أو إذا كانت الظروف تستتزم وقت الزوج خارج المنزل ، فإن تفرغها للأسرة لا ينبغى أن يؤخذ على أنه تقليل من شأنها ، وجور على حقها ، وإنما هو على العكس من ذلك ، شهادة بأن هذا الكيان الاجتماعى " الأسرة " ، والمؤسسة التربوية الأولى ، يحتاج إليها

•• تثبت فيه الحياة والحب ودافعية العمل والتعليم •• إنه بدونها ، يمكن أن ينهار ، أو تتعطل وظائفه الأساسية .

وفي الوقت نفسه ، فإن هذا يلقي بتبعات كثيرة على الرجل بأن يوفر مناخا يشيع بالطمأنينة على الحاضر والمستقبل وثقة تثبت الفؤاد ، وحباً ، وتقديراً واحتراماً ومساعدة بأقصى ما يمكن له لهذا " المصباح المنير " للأسرة ، وللمجتمع •• المرأة ••

ومن أبرز النقاط التي تحتاج إلى دراسة وتفكير ونقاش ، هو ما يمكن توفيره من ضمانات لهؤلاء النساء الذين يوافقن على التفرغ للبيت ، ويكن ممن لا دخل لهن ولا ثروة ، إذ لا يمكن أن ننكر ما يؤدي إليه هذا الوضع في بعض الأحوال من ترك المرأة في مهب الريح ، حيث تبقى معلقة بإرادة رجل ربما يكون ظالماً ، وربما تغيره الظروف إذا كان قد بدأ ودوداً مخلصاً ، إذ لا يمكن تقبل أن تعيش أم ومديرة منزل ، وهي تخاف في كل لحظة من إقصائها وخروجها إلى الشارع وحيدة مقهورة !

إننا عادة ، لا ندرج " ربات البيوت " ضمن فئة " العاملات " لأننا نقدر العمالة بما تدر من دخل ، وننسى أن عمل ربة البيت ، إذا تمت دراسته دراسة علمية جادة وجيدة ، حتى من الناحية الاقتصادية للبحث ، تثبت أنه يجيء بدخل مادي له اعتباره ، بطريق غير مباشر ، قد لا يتسع المقام لتفصيل أمثلة له .

## مراجع

- ١- ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، القاهرة ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦
- ٢- أحمد الرشيدي : حقوق الإنسان فى القوانين والتشريعات الدولية ،  
القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ج ١ ، ٢٠٠٠
- ٣- أحمد زايد وآخرون : المرأة وقضايا المجتمع ، القاهرة ، مركز  
البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ،  
٢٠٠٢
- ٤- أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ،  
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨
- ٥- \_\_\_\_\_ : تاريخ التعليم فى مصر ، القاهرة ، وزارة  
المعارف العمومية ، ١٩٤٥
- ٦- أحمد مصطفى ، صحيفة التربية ، القاهرة ، مارس ١٩٥٩
- ٧- إسماعيل القبانى : دراسات فى تنظيم التعليم فى مصر ، القاهرة ،  
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨
- ٨- الأمم المتحدة : تقرير المؤتمر العالمى لاستعراض وتقييم منجزات  
عقد الأمم المتحدة للمرأة : المساواة والتنمية والسلام ، يوليو ،  
١٩٨٥
- ٩- إلياس فرح : تطور الفكر الماركسى ، بيروت ، دار الطليعة  
١٩٨١ ، ط٦
- ١٠- أميمة أبو بكر : خطأ الأصولية الحداثية ، وتاريخ النساء ، فى  
مجلة طيبة ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، القاهرة ، مايو ٢٠٠٣
- ١١- أمين سامى : التعليم فى مصر ، القاهرة ، ١٩١٧

- ١٢- الحسينى سليمان جاد : وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ، رؤية شرعية ، كتاب الأمة ، يصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة ، ١٩٩٦ ،
- ١٣- رشاد على عبد العزيز موسى : سيكولوجية الفروق بين الجنسين ، القاهرة ، مؤسسة مختار ، ١٩١٩١
- ١٤- زكريا إبراهيم : سيكولوجية المرأة ، القاهرة ، مكتبة مصر ، د.ت
- ١٥- زينب حسن حسن : دراسة وتقويم الجهود المبذولة لمحو أمية المرأة فى كل من المجتمعين المصرى والسعودى ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٩
- ١٦- زينب محرز ، تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٥
- ١٧- زينب محمد فريد : تطور تعليم البنات فى مصر منذ عهد الاحتلال البريطانى ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٦
- ١٨- سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٣
- ١٩- سامية مصطفى الخشاب : المرأة والعمل المنزلى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٣
- ٢٠- سعيد إسماعيل على : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٤
- ٢١- \_\_\_\_\_ : ديموقراطية التربية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢
- ٢٢- \_\_\_\_\_ : التعليم فى ظل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٥

- ٢٣- سعيد عبد الحميد محمود السعدنى : دراسة تقويمية لتعليم المرأة فى القطاع الريفى فى ضوء احتياجات التنمية ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٦
- ٢٤- سلوى محمد فرج : المرأة المصرية فى الأمثال الشعبية ، مجلة طبية ، مركز دراسات المرأة الجديدة ، القاهرة ، مايو ٢٠٠٣
- ٢٥- طلعت عبد الحميد : : التعليم المستمر مدى الحياة وتحقيق التكامل بين التعليم النظامى وغير النظامى ، القاهرة ، دار فرحة ، ٢٠٠٤
- ٢٦- عبد الباسط عبد المعطى ، واعتماد علام ( تحرير ) : العولمة وقضايا المرأة والعمل ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣
- ٢٧- عبد المنعم حسين شوقى ( إشراف ) احتياجات المرأة فى الصعيد مصر ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٨١
- ٢٨- فاطمة على السعيد جمعة : قضايا تربية البنات وتعليمها عند رائدات الحركة النسائية فى مصر من سنة ١٨٨٢ ، إلى سنة ١٩٥٢ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، بجامعة عين شمس ، ١٩٨٨
- ٢٩- فاطمة مصطفى عبد الجواد خميس : العائد الاجتماعى من تعليم المرأة المصرية ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٦
- ٣٠- فهمى هويدى : ( تساؤلات وثيقة بكين ودروسها ، الأهرام ، الخامس من سبتمبر ١٩٩٥ )
- ٣١- اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل : ميثاق الأسرة فى الإسلام ، القاهرة ، طبعة تجريبية ، ٢٠٠٦

- ٣٢- محمد سليم العوا : : الإسلام يكفل جميع حقوق المرأة ولكن بعض المسلمين يغفلونها ، الأهرام فى ١/٩/١٩٩٥
- ٣٣- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنايئة : المصحح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى ١٩٥٢-١٩٨٠ ، التعليم ، القاهرة ، ١٩٨٥
- ٣٤- مصطفى سويف ( إشراف ) : تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنايئة ، القاهرة ، ١٩٧٤
- ٣٥- مؤتمر التعليم الإلزامى المجانى للدول العربية ، بالاتفاق مع هيئة اليونسكو وجامعة الدول العربية : تعليم المرحلة الأولى فى مصر ، القاهرة ١٩٥٤
- ٣٦- المؤتمر القومى للمرأة : المؤتمر الأول ، نهضة مصر ، للمرأة ٠٠ المواطنة والتنمية ، القاهرة ، مارس ٢٠٠٠
- ٣٧- ميثاق العمل الوطنى ، القاهرة ، ١٩٦٢
- ٣٨- نادية الخولى : التمييز على اساس للنوع فى كتب الأطفال للعربية والفرنسية ، فى مجلة طيبة ، مايو ٢٠٠٣
- ٣٩- نادية عبد الجواد الجروانى : للعائد الاجتماعى لبرامج محو أمية المرأة العاملة ، دراسة مطبقة على إدارة الجيزة لمحو الأمية وتعليم الكبار ، القاهرة ، رسالة دكتوراه ، كلية للخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٩٩
- ٤٠- نبوية موسى : تاريخى بقلمى ، ملتقى المرأة والذاكرة ، القاهرة ، ١٩٩٩
- ٤١- نعمات عبد الناصر أحمد صالح : أثر التركيب الطبقي على التعليم العالى للمرأة فى جامعة أسيوط ، رسالة دكتوراه ، أسيوط ، ٢٠٠٠

- ٤٢-نولة درويش : سلطة الخطاب فى إنتاج الوعى بالذات والآخر ،  
مجلة طبية ، القاهرة ، العدد الثالث ، مايو ٢٠٠٣
- ٤٣-وزارة المعارف العمومية : تقرير يبين حال التعليم الذى تتولاه  
وزارة المعارف أو تشرف عليه من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٢٢ .
- ٤٤-\_\_\_\_\_ : قانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥١
- ٤٥-\_\_\_\_\_ : قانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣
- ٤٦-وزارة التربية والتعليم : قانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦
- ٤٧-يوسف مراد : سيكلوجية الجنس ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة  
إقرأ ، مايو ١٩٥٤